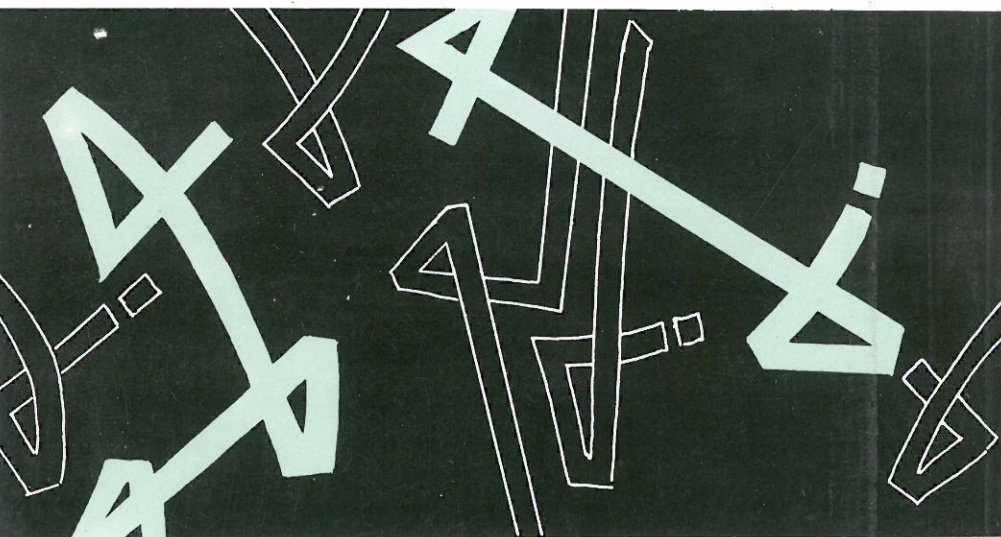


حسين المناصرة

الرخ

يعانق بروميثيوس

أو
"ديلة تقياً"



(مسرحية)

الرخ يعانق بروميشيوس
أو "دليلة تتقياً"

* الرّخ يعانق بروميتيوس - أو "دليلة تنقياً"

* حسين المناصرة

* الطبعة الأولى 1995

* جميع الحقوق محفوظة

* الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع

سورية - اللاذقية - ص.ب: 1018 - هاتف: 422339 - فاكس: 222250

حسن المناصرة

الرخ يعانق بروميثيوس

أو
دليلة تتقياً

دار الحوار

الإهداء:

إلى الجبل الذي سيقتل زكريّا الثّمن،
ويحارب من أجل عودة سوروق إلى أهلها.
إلى عبد الله ورغيد وكل القادمين...

الكاتب.

الزمكانية: بلاد سوروق وأوروك في الزمن المعاصر والمستقبل.

أهم الشخصيات:

1- شخصيات أسطورية وشعبية:

بروميثيوس. بندورا، جويتر.

جلجامش. شمشون. دليلة.

قراقوش. علي بابا. ...

2- شخصيات متخيلة:

أبو محسن. عثمان. ابن درّاية....

تنويه:

* لا تشابه بين هذا النص المتخيل والواقع. وأي تشابه ملموس هو مصادفة لا غير.

* تصرخ عشتار ربة الحب كامرأة في المخاض وتتنهد:

«أصبحت البلاد كالمستنقع، لأنني تفوهت في مجمع الأرباب
بتدمير البشر، بعد أن أصبحوا يملؤن البحر كبيض النمل».

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: الْصَّدَاقُ

المشهد الأول

فَوْق... وَتَحْتُ

تَحْتُ... وَفَوْقُ

المكان: غرفة واسعة في المستشفى، شكلها يوحي بوجود شخصية مهمة جداً.

(يتلوى على السرير كطفل مصاب بالمغص. يستقر ويفتح عينيه؛ تبدوان وستين غائرتين ثملتين بالصفرة.)

- أسبوعان لم أذق فيهما رائحة النوم!!

(تتقدم ممرضة تعطيه إبرة ويهدأ.). كوايس تنزل عليه من كل الجهات. صراخ لأطفال ونساء وأنين وإطلاق نار. ماضي مرعب. أشياء وأصوات غير مفهومة.

(يصحو...)

- مالذي فعلته لي كل هذا الجحيم؟! الموت راحة! أيها الموت، لماذا ترحل عني عندما أحبيتك؟! إنه يرحل!! ألم تعد المستشفيات مغرية له؟! ألم يعد بفضل غير ساحات الحروب؟ ماذا علي أن أفعل؟ آلاف ماتوا بسببي، وكنت الناجي الوحيد دائماً!

(يلتفت إلى الجمهور ووجهه مليء بكل الحسرات، وتبدو أوداج وجهه منتفخة مجمدة، وثوبه الأبيض متسخ من الأدوية)

- ماذا أفعل بنفسني؟

(يكورها عدة مرات)

(وهو ينظر إلى الجمهور بتمعن)

- أين بريق الوجوه؟ لم تعد الأشياء كما كانت !

(يمد يده إلى رأسه)

- الشعر قصر إلى درجة الصففر. المساحة العلوية من الرأس جدباء. الأرض أصبحت بوراً ومجعدة أكثر من أي زمن مضى. الزمن مضى بسرعة كبيرة.

(يمد يده إلى علبة من علب الأدوية المجاورة على الدولاب، يتناول حبة ويضعها في فمه بدون الماء. وتبدو علاقته بالأشياء المحيطة أقل ارتباطاً من قبل تناول الدواء، ويزداد ضيق الجفون حول عينيه.)
(تتنابه نوبة صداع.)

- اقطعوا رأسي، وارموه في الزبالة. (وهو في حالة إشفاق على نفسه) افعلوا ذلك، غيِّروا الرأس. إنه الرأس يا ناس! لو كانت البلوة في غير الرأس! آه، أنت أمام المرض أحقر من بعوضة. الوقت تأخر. في المعركة: الموت رصاصة واحدة في الرأس.

ولكن أين الرصاصة الآن؟! هنا الرعب والعذاب.

(أصوات الناس خارج الغرفة، وراء الكواليس. يشعر بالانزعاج.

يزداد الصداع.)

- ولماذا يدخلون؟ لقد قرفت! يُشْعرونني بالعجز، وكلهم كانوا عاجزين. الوؤؤ!! وهل بقي وؤ في هذه الأيام؟ رؤوسهم فارغة، ويكاد رأسي يتفجر. ألم يكن ذلك من أجلهم؟

صوت الحارس: يا إخوان، ارحمونا، واعذرونا، الزعيم في غرفة الإنعاش! أتعرفون ما معنى غرفة الإنعاش؟ يعني ممنوع دخول الزوار.

اتوكلوا على الله، مع السلامة.

- ويكذب ! الزعيم في غرفة الإنعاش!

صوت زائر: هذا حالكم كل يوم، وأمس قرأت في الجريدة: إن الخطر زال، والتقى الرئيس بمهثيه في جناح النقاهة. والناس يتحدثون عن سياسة جديدة يعلنها الرئيس هذا اليوم. أنا عضو في المجلس البلدي، ويجب أن أرى الرئيس.

- الحارس: تركتك لتقول كل ما عندك، وأنا أقول لك: لا يمكن الدخول على الزعيم، يله مع السلامة.

(يلو ضجيج الناس، ويضع يده على رأسه)

- كشاة قصص صوفها! وما زالوا يعتقدون بأن العبقرية في الرؤوس الدائرية، والجباه العريضة، ومساحات جرداء من الشعر، تلعب فيها الخيول، ونظارة طبية، وأذنين كبيرتين، وقدرة على التمثيل، وانتماء إلى جهات سرية. والزعيم زعيم والحافي ابن حافي. أرزاق!

تهدأ الأصوات. يدخل من الباب شخص طويل القامة، مهندهم، يحمل في يده باقة كبيرة من الورد الأصفر، ويلبس بدلة سوداء، وربطة عنق حمراء ويلبس على رأسه كوفيه زرقاء، يضع الباقة على الطاولة المجاورة، ويحرك يديه، دالاً على وجود البرد في الخارج)

- (وهو يتسهم) حسن الله صحتك يا سيدي، وصباحك الفل والياسمين.

(ينتبه للقدام وكأنه كان في غفلة).

- لقد تأخرت يا عثمان. ألم اقل لك أن تأتي مبكراً!

- الضجة يا سيدي! الضجة! الناس لا يتحدثون إلا بما حدث مع أبي محسن. الجرائد لا شغل لها إلا أنت. القاصي والداني: أبو محسن.. أبو محسن. لم أر طعماً للراحة؛ كلهم يأتون إلي أو يتصلون.

- وهل يخفف سؤال الناس عني ما يحدث لي في هذا الجحيم؟
هذا صداع! قل لهم: أبو محسن سيموت! وقبل الموت أريدكم أن
يتحدثوا ضدي. الصداع يرغمني الآن على أن أستمع إلى ما يقوله
الناس عني. أشعر بأن الصداع يهدأ. حدثني عما يقوله الناس عني. ما
يقوله الناس عني .. ما يقوله الناس عني ..

(وتكون جمل أبي محسن السابقة في صور كثيفة ممزوجة بالمرض
المشبع بتعذيب الذات. يحاول أن يرفع رأسه وأن يسند ظهره على دفة
السري. يفشل، ثم يُلقي برأسه على الوسادة. يضع يده اليمنى تحت
رقبته الخلفية، ويتحسس بيده اليسرى جبهته، ثم يضغط على جانبيها
تجاه الداخل. يساعده عثمان على أن يسند ظهره..).

- هل سمعت من الشتاء شيئاً؟ لا أريد مدحاً، العبارات القبيحة
هي التي أريد أن أسمعها منك. لا تقل لي ما قالته العرب:
وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
(عثمان سرحان. يتأمل ملابسه التي يرى فيها تميزاً عن ملابسي أبي
محسن. ينتابه شعور بأنه الأقوى. يقف على رجليه، يتحدث في صورة
المونولوج الداخلي:

تلك القوة الجبارة أصبحت كتلة لحمية صلبة على فراش الموت،
وهل يطمح في أن يعيش أكثر من خمسة وستين عاماً. قد يمكث شهراً،
وإذا عاش عشر سنوات فسيبقى على فراش الموت، وتكون أنت كل
شيء يا عثمان. هو الآن مثل تلك الزهور الصفراء. لقد تعمدت أن أكثر
منها بما يجعله يفقد الأمل.. ولكن هذه الزهور تشبه زوجتي أيضاً.
سأغيرها. كدت أن أموت في الحرب الأولى، وأنقذتني بالثوب
الفلاحي، وكانت صبية، ومضت كل السنين، وأنا أعيش بفضل
زوجتي. كدت تموت يا عثمان فطيساً! ولا تحقق أحلامك التي طالما

(تدخل إلى المسرح فتاة جميلة، كتب على كل أجزاء جسدها كلمة إشاعة بكل الألوان المعروفة)

الإشاعة: من يقول إننا ضعفاء غبي! لم يعرف ما عندنا من المفاجآت. النووي متروك للآخر. سنطلق الجرثومي لتنزل الحمى بهم فتجعلهم حيص ييص. وهذا الكيماوي سيبد نصف أهل «سوروق» المغتصبة، وينتصر أبناء «دليلة»، يحرقون «شمشون»، يؤازرهم المدفع العملاق. كل شيء يهون أمام المدفع العملاق! إنه قادر على دك أساسات بيت جويتر الأبيض. وحينها ستعلن ذات الوجه الشبقي الأشقر سقوط كل العروش: الفرعون، الاسكندر الأكبر، هتلر، وما يزال الكتيب موسوليني يهيم على وجهه في أحراش القوقاز.

صوت التاريخ: لقد استطاعت القوات المتحالفة توجيه الضربة القاضية، و.. (يُغلق الصوت)

الإشاعة: لم نخسر شيئاً، هو الامتصاص!! المعركة البرية!! سنحشو الأحذية في قاع جويتر. وكل الذين ناصروه سيسقطون نفلًا.. اللعنة عليهم جميعاً؛ على حوروس النذل، وجلجامش، وفاتح الصندوق؛ يطلق بروميثيوس الضواري والثعابين لتأخذ الأطفال من أحضان العذارى.. وستبقى مدافع أوروك في قلب جويتر لتجعله نسياً منسياً.

أبو محسن: (وقد جلست الإشاعة إلى جانبه أو وقفت): أمتأكدون أن أوروك ستنتصر؟!

الإشاعة: من يجرؤ على مقاومة فنتي؟! يا سيدي، جعلتهم يعتقدون باختباء الأشياء تحت الركام. وستنقض أوروك كالصقر، فتغير

وجه الأرض بعد أن تأكل من أحشاء جوبيتر. إني، يا سيدي
بريء مما يتصورون! إنهم يتفوقون على كل إشاعة. أنصاف
المثقفين كانوا بارعين، وكنت أنا مسكينة. لكن ابن دُرّاية..

أبو محسن: لا تكوني كعثمان! لكن.. لكن.. لكن.. قللي ما بعد
لكن قبلها. هذا ما أريده الآن، لا أريدكم أن تخفوا عني
شيئاً. هاتوا الشتائم أولاً.

الإشاعة: يشوهني، يا سيدي، ابن دراية بإشاعاته المتشائمة. إنه يقتل
آمال الناس، ويغتالها في المهد. صحيح أنَّ الناس لا يحبونه
لأنهم ملّوا. أصبحت القضية مألوفة. ويريدون السلام حتى
ولو تولى عليهم الحكم شيطان أزرق. وما الذي يقوله ابن
دراية؟ إنه يتبجح أمام الناس بأفكار غريبة يحبونها. البعض،
وخاصة الفلاسفة يقول مثلاً: إننا نعيش في زمن يتشائم فيه
الفكر وتتفائل فيه الإرادة. وبعض الناس يكرهونه بحقد
ويلعنون إشاعاته السوداء؛ رؤوسها رؤوس البوم، ونواحيها
نواح غربان.

(تلبس الإشاعة وجهاً قبيحاً، وتمنطق بعباءة سوداء. ويكون شكلها
مازجاً بين شكلي الغراب والبوم)

الإشاعة القبيحة: لا تصدقوا الكذبة الكبرى. لقد خسرنا أكبر
حرب في كل التواريخ. ضحكوا عليكم ونغنفوا
مباذعكم. لقد بثَّ جوبيتر عسسه في مخادعكم المليئة
بالنشوة والأحلام، فكنتم صبية في المهد. نتم مع أضغاث
البقيظة.. وصدقتم أنكم قوة عالمية رابعة. ستقشع عن
صدوركم حوافر جوبيتر وشمشون، وتوزع أموال

«بريمينوس» بالعدل بين العطشى. وتنهلون من تلك الآبار حتى الثمالة.. وقد تمنى البعض أن تحرموا من تمتعوا قبل التحرير. وفي لحظات الرعب تمنيتم الدمار، لقد أصبحت الآبار حامضة على الثعالب التي لم تفعل غير الحلم. وانتظرنا الصواريخ الموجهة إلى النحور والصدور. وكانت الحبة قبة، وبعد أن ماتت الحبة بقيت القبة، وما زالت القبة قبة، ما زال المنهوك بطلاً شعبياً. في ليلة وضحاها صدقتم أكبر كذبة في التاريخ، صاغها ألف عالم نفسي هربوا من ديار أوروك إلى الاحتماء بجويتر الحر. وبقيت أساطيل الورق قصة الحكاية. وعندما تساقطت الخيول الورقية الجامحة لعنتم عجزكم والمذيع الذي أرهق من العمل، وكان جزاؤه الانزواء أو التخطيم بعد الهزيمة. وبدأتم تتعلمون طرق استخدام «الكمبيوتر» لتعرفوا كيف تمت الهزيمة... وأصبحتم تعادون الفايروس السبب في الهزيمة .. الهزيمة.. الهزيمة.. النصر.. النصر.. وبتم تشتغلون في الكهانة، وتتفننون في لبس السراويل تعويضاً عن العجز الذي حصل في قواعد الصواريخ.

(تخلع الإشاعة وجهها القبيح)

الإشاعة: ستدور الحرب على رؤوسهم في آخر الزمان، وها نحن منتظرون!!

عثمان: إنه رجل أعوج يا سيدي، لا يترك خبراً من أخبارنا ألا ويدس فيه سمه. وكل الأخبار عنده من مخططات الاستعمار. لا شيء من مخططاتنا.

أبو محسن: تخلصوا منه !

عثمان: سيكتشفوننا هذه المرة. وبدل ما نصلحها نعور عينها. لقد كانت خطتي حكيمة عندما أطلقت العسس على سمعته بين الناس، فشوخوا صورته، إلى حد لا يشكك الناس في كونه عسسياً من عسنا وعسس شمشون، يقولون عنه: عسسي مزدوج!! لقد كان حرقه أحسن من موته، يا سيدي.

أبو محسن: وهل عسسنا في هذه الدرجة من الانحطاط حتى تحرق ابن دراية به ؟!

عثمان: (وهو ينتبه إلى ما وقع فيه من خطأ) ما قصدته، يا سيدي، هو..

الإشاعة: (مقاطعة عثمان) ما يعينه عثمان، يا سيدي، هو أن يقول: إنه يجعل الناس يشكون في أقوال ابن دراية، يسمعونها ولا يصدقونها، لأنهم يقولون عنه: كيف نصدق عسسياً يشتم نفسه؟! (وتغمز عثمان الذي يعجبه كيدها في تفسير أقواله)

أبو محسن: (وهو يخاطب عثمان) عليكم أن تكتبوا هذا الكلام في الطبعة الجديدة من كتابك «فن الدس في أخبار العسس» (ويضحك).

عثمان: الصراحة يا سيدي أن الناس يخافون العسس ولا يحترمونهم. كنت أعتقل كل الذين يشاركون ابن دراية أوهامه، ولا أعتقله، إلى أن جعلت الناس يسبون ويخافونه ويستمعون إلى كلامه ولا يناقشون أو يضيفون.

أبو محسن (وهو ينقل نظره إلى الإشاعة التي كانت فرحة بما يقوله

عثمان): آه اين أنت يا أختي؟ وأين الذباب الأزرق يعجبك
كلام عثمان بكل تأكيد !! (ويضحك).

الإشاعة: (وهي في حالة الفرح الطفولي) إشاعات يا سيدي! كل ما
قالوه عنا إشاعات. وما يقولونه عن علاقاتك العاطفية أكثر
مما تتصور! قالوا: «بعد ما شاب دخلوه الكتاب» والبعض
قال: «والله صبر ونال. ملكة جمال سوروق لأبناء
شمشون» وما أن دخلت إلى هذا المشفى حتى قالوا:
«مسكين شاف ليلة الحنة وما تهتئ» ولكنهم، يا سيدي،
زودوها.

أبو محسن: هذا الذي اسمه «زودوها»، هو ما أريد أن أسمعه!!

الإشاعة: قل با عثمان !

عثمان: قل لي أنت صاحبة الاختصاص!

أبو محسن: قل لي كل من عندك، واطركي كلام عثمان.

الإشاعة: كلام خطير يا سيدي.

أبو محسن: الصداع.. الصداع.. لماذا تريدون لي الموت؟ ألم أقل لكم
إن شفائي في هذا الكلام السافل مثل وجوهكم؟! أيها
السياف.. أيها السياف.. أيها السياف...

(يدخل رجل يحمل كلاشنكوف)

السياف: أمرك، يا سيدي !

أبو محسن: اقطع رأس هذه المرأة ابنة شهرزاد، إذا لم تقص على
شهريار الحكاية.

السياف: (يصوب الرشاش إلى عنقها، تبعده عن عنقها وهي في حالة
الغنج)

الإشاعة: سأقول: إن الناس يقولون عنك «أبو الخيرزان بطل رواية الرجال» ويستغربون كيف استطعت أن تكون ذكراً بعد أن فقدت أشياءك في الحرب الأولى. وقد ازدادت غرابتهم عندما خلقت منها: فهل يريد أن يسلمها سعد إلى سعيد، وتضيع الأصول دائماً من جهة الآباء.

أبو محسن: اللعنة على الإشاعات، «والقال والقليل».. أنا من ضحى بلذته لأجلهم، ويقولون عني «أبو الخيرزان»؟! تخلّيت عن أصلي وفصلي، ويقولون سعد وسعيد من غير آباء!! وكم قالوا عن رصيدي في سويسرا!؟

عثمان: لا تنزعج يا سيدي. إشاعات وأساطير. الناس خرفوا. هل تصدق أنهم يقولون عندك طفل عمره «اثنتا عشرة» سنة؟

الإشاعة: كنا نمزح، يا سيدي، ولماذا نقلبها إلى نكد؟! الناس لا يدعون لك إلا بطول البقاء!! وقد كتب اللعين ابن دراية في الجريدة مقالاً بعنوان «احذروا الإشاعة». وعلينا أن نحذر الإشاعة.

أبو محسن (وقد وضع يده على رأسه وهو يردد): صدادع.. صدادع.. صدادع..

صوت التاريخ: يروح ويجيء.. ابن دراية وأبو محسن؛ تحت وفوق.. ابن دراية وأبو محسن.. فوق وتحت.. ابن دراية وبروميثيوس... ابن دراية وبروميثيوس... الوعي والصداع... الوعي والصداع...

(يتحول صوت التاريخ إلى صوت الجوقة). وتكون الإشاعة لعبة بفرح على الخشبة. وعثمان يحمل باقة الورد ويسير داخل القاعة، يسلم

على الناس، وهو يقول: شفاكم الله. ويقوم أبو محسن عن السرير بقفزة قوية، يخلع الثوب الأبيض، لتظهر عليه ملابس راع من العصر اليوناني، ويُركّز الضوء على فتحة مظلمة في الجهة اليمنى من المسرح..
الجوقة:

شبح يهوي في قعر الأرض

وامرأة تلد طفلاً أبيض

والناس يصرخون

يركضون

يموتون

أشباح وأطفال

وابن دُرّاية يكتب قصة الخلق الجديد

(يدخل ابن دراية يحمل ورقاً وقلماً من الحجم الكبير، ويجلس على

حافة خشبة المسرح تجاه الجمهور)

الجوقة تستمر في الصوت الإيقاعي بعض الشيء:

الصداع والصراع.. وأنت وهو..

وماذا تفعل يا بروميثيوس بذاك الكهف؟

الآن.. الآن.. الآن..!!

هذا وحل.. هذا وحل..!!

اصنع بشراً يرقصون

ولا يرفضون ...!!

وأنت اصنع بشراً يرفضون

ولا يرقصون ...!!

سنعود للوراء...

لبداية التاريخ

لبداية التاريخ لبداية التاريخ حيث الوحل غيمة

ستار

يبقى ابن دراية جالساً أمام الجمهور، والستار خلفه.
ابن دراية (وهو يكتب): كان بروميثيوس قلقاً مصدوعاً.. وكان..
(يبدأ الستار في الانقشاع عن الخشبة للدخول في المشهد الثاني.
ويكون ابن دراية جالساً يكتب من غير كلام، لتأتي الشخصيات معبرة
عما يكتبه في الورق).

المشهد الثاني:

بندوراً

(ابن درّاية يجلس على حافة الخشبة، يكتب عما يجري من أحداث في هذا المشهد. بروميثيوس يسير على الخشبة قلقاً مفكراً متوتراً، وفي بعض الأحيان يضع يده على رأسه ليبدو مصدوعاً. أما عثمان فقد وقف بجانب طاولة، وجدت عليها أشياء غير مرتبة، ولم تكن موجودة في المشهد الأول).

بروميثيوس (في نفسه بصوت عال): ماذا ستفعل الآن يا بروميثيوس؟ قل لي: ماذا ستفعل بهذه الورطة التي ورطت نفسك فيها عن غباء؟ هذه القضية وقد أنهكناها، فأصبحت عجوزاً حمقاء!! والحروب كلها، والحمد لله الذي لم يحمّد على مكروهه سواه، خسرتها. وما زال عسسي ينتشرون بين الزوج وحليلته. وماذا ستفعل الآن يا بروميثيوس بعد أن جردوك من الحديد؟! لتدخل أو دخلت في عنق الزجاجة.

(يتوقف عن الحركات المتوترة. يرفع رأسه بشموخ إلى السماء، ثم يمسكه بين يديه، ويتوجه إلى السرير الذي ما زال مكانه، مع إحداث تغيير فيه بما يتناسب مع العصر اليوناني القديم... يتمدد عليه، يضغط على جبهته عدة مرات، ينظر إلى الطاولة حيث يقف عثمان كصنم بملابسه نفسها التي بدت في المشهد الأول).

بروميثيوس: ماذا ستفعل يا عثمان؟

(يتحرك عثمان وكأنه يخرج من صنم)
عثمان: الرأي رأيك يا سيدي!

(يعود عثمان إلى صنمته، أما بروميثيوس فيُدخل وجهه تحت الغطاء، ولا يظهر منه إلا صوته)
صوت بروميثيوس: ماذا ستفعل يا بروميثيوس؟ ماذا ستفعل؟ قل، لا تخف.

ماذا ستفعل مع هذه الورطة التي حشرت نفسك فيها؟!
كنت تقول لهم: إذا لم أعد أصلح لهذا العالم فأنا أستقيل. وتقدم الاستقالة، وتبكي، ثم تبكي، وتفرح كثيراً عندما يأتون ليراضوك، وترضى، وتعملها في كل مجلس إلا الأخير.
عثمان (يضرب كفاً بكف مع الاستغراب): عليك العوض ومنك العوض!!

صوت بروميثيوس: ماذا ستفعل يا بروميثيوس؟!

عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم. عليك العوض ومنك العوض!!
بروميثيوس (يقفز من الفراش ويتنطط): وجدتها وجدتها، أخيراً وجدتها، يا عثمان... يا عثمان

(ينادي عليه بصوت مرتفع وكأنه في آخر القاعة)
عثمان: أنا هنا يا سيدي، لم أغادر الغرفة!!
بروميثيوس: أحضر ورق البردي والماء الأسود.

عثمان (يتوجه إلى الطاولة يبحث عن الورق والحبر الأسود، ويقول في نفسه بصوت مرتفع) لم أكن أعرف أن سيدي عندما غطي رأسه سيكون قادراً على إعادة خلق الحيوان الأسمى الذي

دَجَّنُوا كل الأشياء لأجله. إنه كما سمعتم يقولون في مجمع
الأرباب: حيوان، يحب، ويعطف، ويحزن، ويهدي القبور
وروداً برية، ينظم بعضها في أكاليل يقدمها للعجريات يعنها
في شوارع المعابد ليالي الأعياد... عندها سيتغير التاريخ على
وجه الأرض .

الجوقة: الأرض.. الأرض
تقفز من شوقها⁽¹⁾...

تكشف الرأس
تلقي ملابسها قطعة قطعة
ثم ترقص في الماء حد الفرق
عثمان (يعني)

وأخلق خلقاً جديداً
وكأن لم أكن قبلُ من طينة
أدها الجذب حتى أدلهم عليها الظمأ

بروميثيوس (يعني)

أنا سيد العاسقين
ها أنا جالس فوق عرشي (يجلس على السرير)
وكل الذين أحبوا وماتوا، يطوفون حولي (يطوف عثمان)
كلما لامسوا جانب العشق
ضجت بهم شهوة للغناء
عثمان (يطوف ويعني)

(1) الشعر المثلث هنا وفي الصفحات التالية من هذا المشهد من شعر سعيد السريحي من قصيدة بعنوان
سيد العاشقين نشرت في مجلة إبداع

وأَخْلَقَ خَلْقاً جَدِيداً
وَكأن لم أَكُن قَبْل من طِينة
آدَهَا الجَدْب حَتَّى أَدْلَهُمَّ عَلَيْهَا الظَّمَا
(يَتَوَجَّهُ عَثْمَان إِلَى الطَّائِلَةِ وَيَحْمِل دَفْتَر رَسْم من دَفَاتِر الأَطْفَال..
وَمَحْبِرَة حَدِيثَة)

عَثْمَان: تَفَضَّل يَا سَيِّدِي: البَرْدِي والمَاء الأَسْوَد.
بَرُومِيثْيُوس: اجْلِس عَلَى الطَّائِلَةِ، وَاكْتَب البَيَان التَّالِي:
هَذَا بَيَان من.. الزَّعِيم.. المَشْغُول دَائِماً.. إِلَى كَافَّة المَخْلُوقَات،
السَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَبَعْد: فَإِنِّي أَعْلَن لَكُمْ أَن المَخَالِب
نَفَدَتْ، وَكَذَلِكَ الأَجْنَحَة والأَصْدَاف. وَلَمْ يَبْق لِلإِنْسَان مَا يَحْمِي بِهِ
نَفْسَهُ، وَخَاصَّة بَعْد أَن سَقَطَت شَعْلَةُ الشَّمْس الَّتِي حَمَلَتْهَا المَشَاعِيَة
الثَّانِيَة، الَّتِي طَوَّرَهَا الفِيلَسُوف الرَّاحِل أَفْلَاطُون وَحَفِيدُهُ جُورْبَاتَشُوف
المَعزُول حَالِيّاً... وَهَآ أَنَا أَقْدَم مَا تَبَقَّى مِنَ الشَّعْلَةِ لَكَبِير عَسَسِي عَثْمَان،
لِيضْرِب بِيَد من حَدِيد كُل من تَسُول لَهُ نَفْسَهُ العُودَة إِلَى عَصْرِ البَرَارِي
وَالكُهُوف، لِيَهْدِم مَا بَنِيَاه فِي مَا يَزِيد عَلَى رُبْع قَرْن...
عَثْمَان (يَتَوَقَّف عَنِ الكِتَابَة): وَلَكِنْ يَا سَيِّدِي لَوْ...

بَرُومِيثْيُوس (مَقَاطِعاً) لَكِنْ.. لَكِنْ.. لَكِنْ.. وَأَيْضاً لَوْ... أَعْطَيْكَ
النَّار المَقْدَسَة، أَخَذَهَا مِنَ الشَّمْس، وَيَغْضِبُون عَلَيَّ وَتَقُول
لِي: وَلَكِنْ... أَعْرِف مَا الَّذِي سَتَقُولُهُ. إِحْرِقْ وَلَا تَخْشَ
شَيْئاً.

عَثْمَان: حَاضِر، يَا سَيِّدِي، نَكْتُب!!
بَرُومِيثْيُوس: وَتَصِر عَلَى مَغْصِي بِالزَّفَرْتَة «لَكِنْ». وَلَا نَعْرِف إِلَى أَيْنَ
وَصَلْنَا..

عثمان: وصلنا، يا سيدي، إلى... إلى ربع القرن.

بروميثيوس: وأنا أقول هذا الكلام، بعد أن دخلنا في نظام عالمي جديد، يفرض علينا ألا ننضحي بما حققناه من مكاسب، سنستخدمها في السلم مع أبناء شمشون، ولن نخالف ما يراه مجلس الأرباب من قرارات في هذا الشأن وعليه جرى التوقيع. هات الخطاب حتى أوقعه.

(يتوجه إلى السرير، وينام عليه، حيث تدخل بندورا، فتاة جميلة، إلى الخشبة، وعثمان يجهز الأوراق للتوقيع).

بندُورا: عثمان.. حبيبي عثمان، لم أترك مكاناً توقعتك فيه إلا وبحثت عنك. أيها الحب الضائع، سأجعلك أسعد المخلوقات عندما أجعل فراشك من وهج الشمس لأكون حبيبتك إلى الأبد، أنا الهدية التي لم تبعث إلا لك. وما زلت العذراء الوحيدة التي على وجه البسيطة!

عثمان: (وقد أخذته المفاجأة): أنت من بعثك جوبيتر؟! هذا هو الأمر المؤكد! إليك عني.. عودي إليه، وقولي: سيبقى عثمان مخلصاً، وكبير العسس لن يحيد عن ذلك قدر شعرة معاوية. قولي له: قدّم عثمان ما فيه الكفاية ليثبت إخلاصه.

جوبيتر: ما الذي تقوله يا عثمان؟ هذه كل الإناث. إغراؤها من المشتري، وجمالها من فينوس، وصوتها الموسيقي العذب الرطب من أبولو!

عثمان: اللعنة عليك، ماذا أفعل بهذه الفتنة؟ وماذا يفعل سيدي أبو الخيرزان؟ هو الإذلال إذن! هو البحث عن الموت! خذها إلى

الجحيم!! أنت وهي إلى الجحيم! لن أُقتل في الليل ألف مرة
عندما أرى إمكانياتي المتواضعة.

أبو محسن: (يهب من النوم صارخاً كأنه كان مع كابوس):
أضغات.. أضغات.. اللعنة عليك يا جوبيتر، ما الذي
سأفعله بهذه الشعلة السماوية؟ الأنثى التفاحة... آه من
تلك الحرب اللعينة! أفقدتني كل شيء يعود إلى السرير.
وهل أنا في الحكاية غير الملكة «لاب»؟ أحببت بل
ضاجعت أربعين أنثى في ليلة واحدة، وعندما شبعت،
أصبحت بغالاً وحميراً، وما زلت بروميثيوس سيد
الصحراء، بل سيد الفيافي.

بندورا: أنا لك وحدك يا عثمان. أنا الأنثى الأبدية. أنا سيدة التفاح.
هيا، لنشعل نار الحرب ونار الفتنة على ذلك السرير.

أبو محسن: (وقد انتبه): أهلاً.. أهلاً.. تشعلونها على سريري؟ لي
الأضغات والأحلام، يا عثمان، ولك السرير!! وأختي؟!
ألم تعد تنفع يا عثمان!! هل أقول لك: ماذا قالت لي عن
رجولتك؟! وهذه تطلب منك: أن تمتطي صهوة الجواد،
وتخوض الفيافي على الجمر، ثم تستر جسدك بالرمل!

(يضع عثمان رأسه بين يديه، ويجلس على حافة السرير. أما أبو
محسن فقد راح يعبث بلحيته، وهو ينظر إلى بندورا بتشفٍ. ويدخل
إلى المسرح راع يوناني يحمل صندوقاً خشبياً يضعه في وسط المسرح،
يجلس عليه، وينظر إلى ابن درّاية)

بروميثيوس: (لابن درّاية): ألا تريد أن تقول للناس ما هو دوري في
النص؟ أم تريدني أن ألعبه بلا مقدمات؟!

ابن دراية: وعندما دخل أخو بروميتيوس إلى خشبة المسرح، واسمه بروميتيوس.. وكان فاسقاً سكيراً، يحمل صندوقاً خشبياً محشواً بالدولارات التي أخذها من صاحب الألب، جلس على صندوقه، وطلب مني أن أعرف الجمهور عليه... وأنا أقول له: عليك أن تلعب دورك التاريخي الذي لعبته في الماضي. بغ واشتر وتاجر بالذم والأرواح، وقامر واحتفظ بالجواري من كل فج عميق، ولا تخف من سلطة قلبي.

(يقوم بروميتيوس، يستل من خرجه عطراً فرنسياً ومشطاً، ويتقلد بارودة صيد على شكل سيف مذهب، وينظر إلى بندورا، وكأنه يكتشفها فجأة.)

بروميتيوس: أوه، بندورا الجميلة هنا ولا أراها!! أيم فيري سوري بندورا. يتوجه إليها، ويقبلها، فتبعده عنها بقوة ماسحة خذها بالفاين. بندورا: كل كنوز الدنيا في صف، وعثمان في صف، ولا شيء غير عثمان.

(يلطم عثمان على وجهه، ثم يعود إلى صنميته مع أبي محسن) (يلطم أبو محسن على وجهه، ثم يعود إلى صنميته).

بروميتيوس: عثمان!!... كنت أسبك ستقولين أخي بروميتيوس!! بندورا: سأجعل عثمان يأكل لحمك.

بروميتيوس: كل ما في ذلك الصندوق لك، لك وحدك، واركبني من ذلك الذي اسمه عثمان..

بندورا: أعد الصندوق إلى سيد الألب، ولا تحاول معي... بروميتيوس: كما تريدين، لكن عليك أن تنظري أولاً إلى داخل

الصندوق، لأعيده بعد ذلك إلى سيد الأولمب!!

بندورا: حسناً (تتوجه إلى الصندوق، تفتحه، وما أن تنظر فيه حتى أغمي عليها)

برومينيوس: (وقد حملها بعد أن أغمي عليها): الآن أنت لي وحدي، ولن ينالك ذلك العسسي الفاشل. وبك أكون سيد أوروك وسوروك والنائب الأوحـد لجوبيتر... وأخي لم يعد أكثر من كتلة صداع، ولا يعرف شيئاً عن الفراش بعد الحرب الأولى. مسكين فقد كل شيء: الوطن والرجولة، وما زال يصرخ بالنضال، ولا يملك حرباً واحدة. وعندما يُعَارَض يُطلق العسس ويهدد، ولا يملك غير الصداع وحكايات عن مغامرات عاطفية قبل الحرب الأولى.

(تصحو بندورا شبه سكرى، وتتوجه إلى عثمان على السرير)
بندورا: لن أتخلّى عن عثمان. هو بعلي. ما زال رمزاً للقوة، رمزاً للرجولة. انظر إلى هذا الساعد القوي. انظر إلى هذا الشارب الأسطوري، وهو كبير للعسس، يعرف كل شيء عن مغامرات جوبيتر.

برومينيوس: كفي عن الهذيان. كفي عن الهذيان، ما زلت سكرى بفعل ما رأيت. أنت لي وحدي، وهذا الذي تعتزين بـرجولته لم يعد غير كتلة لحمية فاسدة. أنا السيد الوحيد. كل الأشياء التي يمتلكها السادة في هذا الصندوق. وإذا أردت أن أجعل عثمانك متسولاً على أبواب الحانات فعلت الآن، وفي هذه اللحظة. هيا. هيا نخرج من هذه الأجواء الفاسدة بالمرض هيا...

بندورا: (وهي في حالة من الغثيان): اللعنة عليك، ماذا فعلت بي؟ هل
وضعت الأفيون في ذلك الصندوق. وتتحسس رأسها:
عثمان.. عثمان... عثمان... بروميثيوس.. بروميثيوس..
عثمان.. (ويكونان: أبو محسن، وعثمان ناظرين إليها دون
أن يفعلوا شيئاً)
بندورا (وهي تتساقط على الأرض) عثمان.. عثمان.. أمان...
مان... مان... مان... مان... مان... مان... مان... مان...

ستار

الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ:

أَنْتَ أَعْرَفُ مِنِّي بِأَخْوَالِنَا...
وَهِيَ تَحْلُمُ بِالْفُحُولَةِ...

صوت جويتر: بروميثيوس: عليك أن تختار بين أن تُقَيَّدَ على صخرة في جبال القوقاز، تأكل البغاث من كبذك، كلما التهمتته جددته مرة أخرى، وبين أن تُعَيَّدَ الشعلة المقدسة إلى أسيادك الذين خنتهم عندما أعلنت عصيان ما خلق الأولمب.

بروميثيوس (وهو يصحو من سبات): عثمان.. عثمان.. (يصحو هو الآخر) أين الجريدة؟ أين الذهب؟ اللعنة! لقد نمنا كثيراً وضاع علينا الخلق (يلتفت إلى بندورا التي ما زالت ملقاة، مغمى عليها، حيث كانت في المشهد السابق) ومن هذه (يلتفت عثمان الذي بدأ يصحو)

عثمان: هيا بندورا!!

بروميثيوس: وكيف جاءت إلى هنا؟!

عثمان: لا أعرف، يا سيدي!!

بروميثيوس: إذا كان كبير العسس لا يعرف، فمن يعرف؟!

عثمان: أصبحت الأمور فوق طاقتي وفوق طاقة كل العسس، يا سيدي فحن ولا غير سوانا، الكل يبحث عن رأسينا، وعلينا أن نكون في المستوى العالمي الجديد، وإلا ضاع كل شيء.

بروميثيوس: وهذه الفتنة، تصورتها في أحلامي لا تقبل شيئاً مما نبغي عمله!

عثمان: هذا صحيح يا سيدي، إنها تريدنا أن نبقى كما كنا. والأمر لك فيما تريد أن تفعله بها.

بروميثيوس: أقتلها !

عثمان: لا يمكن يا سيدي أن نفعل ذلك!

بروميثيوس : والسبب ؟!

عثمان: يحبها أخوك برومينيوس، ويريدها له. وقد هدد كل من يعترضها.

بروميثيوس: وهي لا تحبه!

عثمان: لكنه صاحب الصندوق، وما أدراك ما الصندوق؟!

بروميثيوس: زوجها، وتخلصوا منها. ما دام لم ينفع القوز فالى الزوج.

عثمان: إنها تبحث عن العشق لا الزواج.

بروميثيوس: أعطوها عشيقاً من كبار العسس !

عثمان: أنا يا سيدي !

بروميثيوس: ماذا تقول ؟!

عثمان: هي التي اختارتني عشيقاً!

بروميثيوس : وأختي ؟

عثمان: أنا رفضت .

بروميثيوس: وهل هناك غبي، يرفض هذه الأنثى ؟!

عثمان: أنت أعرف مني بأحوالنا، وهي تحلم يا سيدي بالفحولة.

بروميثيوس: وهو يحك قفا رأسه: الفحولة... الفحولة... لقد ضاعت في الحرب الأولى .

عثمان: للناس أوجاعهم يا سيدي.

بروميثيوس: وماذا يقول الناس عني أيضاً؟ أو قل: ماذا قالت هذه المرأة عني؟ ولماذا اختارتك من دوني، وكان يجب أن تختارني؟

عثمان: لقد كانت تردد دائماً أنها عذراء.

بروميثيوس: تقول عن نفسها عذراء؟!

عثمان: أقسم بذلك!

بروميثيوس: الويل لكم. الويل لكم من شر قد اقترب. عسس وتسمعون لهذه الخرافات أن تنال منا؟!

صوت جوبيتر: اسجنوها على جبل من جبال القوقاز، وسلطوا عليها أبناء شمشون، يأكلوا من عذريتها، وإذا تم التهامها جددوا لها، علّها تصبح أليفة. ولا تقولوا ذلك في الصحف.

بندورا: (بعد أن تصحو): لن تعيش أكثر من بضعة سنوات أيها النذل، وسترى من تسلط عليه الضواري، وسيأتيني عشاق ليحرقوا ويشمروا.

صوت جوبيتر: ها هم بجانبك، وماذا فعلوا لك غير القيود؟ هم منّي هبة لك !!

بندورا: ها هي حوافرهم تدق صدري، ما زالوا صبية يلقون الحجارة. وأصواتهم بكل الفحولة تقرع نوافذ القلب:

الجوقة: حين يقرع صوتهم نافذة القلب

«أنسج رمل الجزيرة أنثى

وأبني رجالاً من الماء

أخرج من ثبج الطين خيلاً عرباً
وأقتحم المدن المشتهاة...

بروميثيوس (لعثمان): ماذا سنفعل الآن؟ أرى أن بندورا وجويتر قد تحولاً إلى خصمين، وبرومينيوس يهدد، كما تقول، بإغلاق الصندوق. وأنا وأنت ماذا يحدث لنا، الكل يهزأ بنا! ألم نعد إلا من العبيد الطواشي، نخدم هذا، ونخدم ذاك، والكل يعيرنا بالخصاء؟ اللعنة على الحرب الأولى.

عثمان: الحق معك يا سيدي. علينا أن نجتمع أدمغتنا، لنفكر في الذي يحصل لنا. وكأن الجميع اكتشفوا أننا خادعناهم بالحب والمودة. هذا ما جعلهم يلعنوننا، وخاصة بعد الحرب السابعة، تلك التي لم يكن لنا فيها ناقة ولا جمل.

بروميثيوس: الناس غيروننا، وجويتر هددنا، وبندورا تريدنا فحولاً، وأخي لا يبيع دم الصندوق... والحيص والبيص كله في عنق الزجاجة.. وما أن نقول: اعذرونا، فنحن في عنق الزجاجة، حتى يلعنونا ويقولوا: اتركوا عنق الزجاجة، وابتعدوا عنها، ولا تكونوا عبيداً تَبْشُمُ ولَرْقُتُم.

عثمان: الحق معك يا سيدي، ولكن علينا أن نجد للقضية حلاً.

بروميثيوس: الحل معروف. نضع أيدينا بيدي أخي برومينيوس ليهتم بنا الصندوق. وفي الخطط الكلية نوافق على ما يقوله لنا الحفيد المبارك.

ابن دراية (وهو يكتب): لقد حصلت الطامة الكبرى: جويتر هدد بروميثيوس بالقتل، وبروميثيوس يهدد عثمان بالقتل، فاتفقا معاً على أن يبيعا ما يشتري أبناء شمشيون، ويسألوا...

بروميثيوس: إن أخي، يا عثمان، حمل لطيف، صحيح أنه فتح أوروكلجويتر، لكنه سيدفع لنا إن وافقنا، ما رأيك؟!

عثمان: وبندورا؟!

بروميثيوس: حاول معها، لقد أنهكناها، وما أظنها تستطيع بعد أن سجنًا بعض عشاقها في جبال القوقاز، تأكل الثلوج من عظامهم... عثمان: لقد حاولت معها، يا سيدي، حاولت أن ألقنها ما اتفقنا عليه، وفشلت...

بروميثيوس: حاول معها مرة وأخرى، حاول.

عثمان: سأفعل الآن أمامك. أين ذهبت؟ بندورا... بندورا... بندورا... بندورا: ها أنا، ما الذي تريده، يا عثمان؟ هل وافقت على عرضي؟ ألا تريد أن تكون فحلاً؟ هيا.. هيا.. وافق.. وافق..

عثمان: دعيك من هذا ورددي خلفي: عربي وعبري جناس ناقص، اسماعيل بن ابراهيم واسحاق بن ابراهيم.

بروميثيوس: عربي وعبري جناس ناقص أب واحد وأمان، والخلاف بسيط: هم يعيدون الأبناء إلى الأم، ونحن نعيد الأبناء إلى الأب.

ابن دراية: وأبنائي لم يعترف بهم أب ولا أم من أبناء الأب الواحد. عثمان: قال الأزهري: رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتاً. كما يقال رجل يهودي والجمع بحذف ياء النسبة: يهود وعرب. بروميثيوس: وقيل أولاد إسماعيل كانوا بعربة، وهي من تهامة، فنسبوا إلى بلدهم.

عثمان: عبر.. عبر رجل عابر والعبرة والعبور، والعبرانية لغة اليهود. بروميثيوس: واليهود التوبة هاد يهود هودا وتَهَوُّد تاب ورجع إلى الحق.

عثمان: والهائد متقرب.. فاليهود هادوا.. فاليهود هادوا..
بروميثيوس: لا قوقاز بعد اليوم.. لا قوقاز بعد اليوم..
عثمان: أنا كبير العسس، وأنت يا بندورا عشيقتي، لا عليك سأعرف
كيف أتدبر أموري.

(تخرج بندورا إلى الخارج، حيث القاعة، تجلس بين الناس، تشاهد
ماذا يجري على الخشبة).

بروميثيوس: لقد أبدعت يا عثمان، يا كبير العسس، ألا ترى كيف
يثست، وخرجت من الخطة كلها؟ لقد أصبحت امرأة عادية،
تخاف من الطلاق، ومن كلام الناس، ولا شيء أكثر من
كلام الناس حول العرض.

عثمان: من أجل أن نفتح الصفحات البيضاء.

بروميثيوس: ونوقع، يوقعون...

عثمان: إن جويتر هذه المرة جاد.

بروميثيوس: ونحن؟!

عثمان: لا يتحركون إلا بإمرتنا.

بروميثيوس: هات البردي والخبر الأسود. واكتب (يفعل عثمان ذلك،
ويجلس ليكتب). أعلن الآن للملأ من أهل سوروب أننا
عزمنا... وسنعاقب كل الذين يسيئون إلى معجم لسان
العرب الذي وحد في اللفظ بين عرب وعبر (يتحول الإملاء
إلى حركات الشفاه، دون الصوت، لمدة دقائق) إلى أين
وصلنا؟

عثمان: إلى الجمع، يا سيدي.

بروميثيوس: ويقول صاحب لسان العرب عن الجمع: اليهودي يهود

والعربي عرب وأضيف أن صاحب اللسان حذف الياء من
عرب، فالأصل يعرب وهنا كما نلاحظ يتساوى الجمعان،
وعليه نوقع، ونضع النقطة.

عثمان: ونضع النقطة.

بروميثيوس: لا تكتبها !

عثمان: آسف يا سيدي (يشطبها ويضع نقطة) التوقيع الزعيم أبو
محسن الطحان. وقع يا سيدي (يوقع أبو محسن).

الجوقة:

هناك فوق جبال القوقاز تعيش بندورا
وأبو محسن فوق سرير أو طاولة يوقع
ومساعدته عثمان الطحان يكتب..

وهنا بروتوكول سري

قال فيه الحكماء:

أعطوهم حكماً ذاتياً

ليندموا عليه أبد الدهر

هنا وهناك كانت في كل مكان

بندورا، مقيدة ومدحورة، لكن الحمرة ما زالت

أَمْلاً يشرق على خديها....

ستار

الفصل الثاني: ابن دُرَّايَة.

المشهد الأول:

(صورة المشهد الأول في الفصل الأول)

أبو محسن: آخ يا عثمان! رأسي! دماغي تتحول إلى رماد ملتهب. لا شيء من الماضي. فقط الصداع. والآن يخيل إليّ أن حياتي كانت جرثومة من الصداع. كأنني والصداع حالة من التلبس مع جني مجنون. وإذا قلنا لهم نوافق لا يوافقون، وإذا رفضنا هددونا بكل ما لديهم من القرون الثورية التي كانت في ذلك الصندوق. ويقولون إهدأ وترّو! كيف أهدأ وأترّو مع عهر هذا الصداع؟! قل لي كيف؟ كيف؟!

عثمان: استعذ بالله يا سيدي! إشرب شيئاً من الماء.. واقرأ قصة سيدنا أيوب عليه السلام.

أبو محسن: العالم في كفة وأنت في كفة. أنت السبب في نصف الصداع. أقول لك: حدثني بما يقول الناس، ولا تقول إلا النزر القليل!!

عثمان: لقد أثقلت عليك يا سيدي. يجب أن تهدأ الآن. إنّ لدماغك عليك حقاً، دعني أذهب الآن، وسأعود غداً.

أبو محسن: اسمع يا كبير العسس، لا تحسبني غيباً أسمع ما تقول. يجب أن تنفذ أوامري أولاً، ثم تناقشني في الذهاب بعد

ذلك. حدّثني بما يقوله الناس عن امرأتي، أَدْخِلْ فِي
الْخُصُوصِيَّاتِ وَلَا تَخْشِ شَيْئاً.

عثمان: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قُلْتُ لَكَ مَرَّاراً. إِنَّ النَّاسَ كَانُوا
شُعُوباً وَقَبَائِلَ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى اخْتَلَفْتُ أَنَا عِثْمَانُ مَعَ اخْتِكَ.
قَالُوا: كُنَّا اخْتَلَفْنَا حَوْلَ أَصْلِهِ وَفَصْلِهِ، وَبَدَأْنَا الْآنَ نَخْتَلِفُ.
حَوْلَ مَا اخْتَارَهُ لِنُطْفِئِهِ.. هَذَا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ نَظْفٌ !!

أَبُو مُحَسِّن: فِي الْمَاضِي ثَرْتُ عَلَيْهِمْ. وَقُلْتُ لَهُمْ: يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ
الْهَشَةِ، لَا تَبْخَثُوا عَنْ أَصْلِي وَفَصْلِي. يَكْفِي أَنَّ أَخْوَالِي مِنْ
عِمْدَاءِ التَّارِيخِ، وَعَائِلَةِ الطَّحَّانِ مَعْرُوفَةٍ. أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَا
عِثْمَانُ. أَنْتَ مِنْ أَخْوَالِي، وَقُلْتُ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِعَمَلِي.. وَأَنَا لَا
أَتَزَوَّجُ إِلَّا مِنْ سُورُوقٍ..

عثمان: قُلْتُ لَهُمْ كُلَّ ذَلِكَ، وَأَكْثَرَ مِنْهُ.

أَبُو مُحَسِّن: وَمَاذَا قَالُوا؟

عثمان: قَالُوا: مَاذَا عَمِلَ؟! طَرُ !

أَبُو مُحَسِّن: قَالُوا: طَرُ، أَمْ أَنْكَ أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ؟!

عثمان: يَا سَيِّدِي لَا تَبْتَسِسْ كُنْتُ أَنْتَ سُورُوقٌ عِنْدَمَا كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ
وَحُوشِ الْبِرَارِيِّ، وَمَا زِلْتُ أَنْتَ سَيِّدَهَا حَتَّى بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجْتَ.
النَّاسُ هُمُ الَّذِينَ خَرَفُوا، وَسَيَّأَتِي الْيَوْمَ الَّذِي سَنَضْرِبُ فِيهِ
بِالْأَحْذِيَةِ جَرَاءَ مَا اشْتَغَلُوا فِي سَمْعِكَ الزَّكِيَّةِ، وَطَعَنُوا فِي
زَوَاجِكَ مِنْ عَائِلَةِ الْجَمَالِ فِي سُورُوقِ كُلِّهَا.

أَبُو مُحَسِّن: هَلْ عَرَفُوا أَصْلَهَا؟!

(وَيَطْأُطِيءُ عِثْمَانَ رَأْسَهُ)

أَبُو مُحَسِّن: مَا تَخْجَلُشْ مِنِّي يَا وَدَّ يَا عِثْمَانُ !!

عثمان: أترك هذه السيرة يا سيدي.

أبو محسن: يجب عليك أن تعترف بكل شيء، وستبقى كبير عسسي كلما توغلت في خصوصياتي عند البشر في الحوار: أريد للفتك أن تخرجني. أريدها كلمات صاعقة.

عثمان: (في سره) أقول كل شيء، وكلمات صاعقة... ألا يكفي ما أنت فيه؟ ستصاب بسكتة لو قلت لك: إنهم يقولون عن حياتها عاهرة.

أبو محسن: (وهو في حالة بين الصحو والنوم): ماذا قلت يا عثمان؟ عثمان: قلت يا سيدي: إن الناس يستغربون كيف تتزوج، وأنت غير قادر عليها. وكما قلت لك مراراً، فالمثقفون يعتقدون بأنك أبو الخيزران في قصة ابن درّاية!!

أبو محسن: اللعنة عليهم، أنا أبو الخيزران؟!

عثمان: لو سمعتها منهم مباشرة لطلبت منهم أن يأتوا ليحربوا!!

أبو محسن: اللعنة عليك؛ قد تفعلها، وتوقعنا في المصيبة!!

عثمان: تركت كل العسس يتقصّون أصل حكاية أبي الخيزران في الحوار، فاكشفوا أصلها عند ابن درّاية.

أبو محسن: كأنني سمعت بهذا الاسم من قبل.

عثمان (يخرج ورقة كبيرة من إحدى جيوبه الأمامية في البنطال، ويمكث فترة قصيرة، وهو يقرأ عن ابن درّاية دون أن يسمع الجمهور ماذا كتب).

أبو محسن: لا أسمع جيداً.

عثمان: يقول، أو أهم ما قال: فَقَدَ أبو الخيزران رجولته كما فقدنا الأرض، ولم يجد له لذة في قتل فحولة الآخرين إلا بوضع

الرجال في الصهاريج الملتهبة... وما زال يصرخ بعد أن قتل
الفحولة: المزيد من المال.. المزيد من المال.. المزيد من البيع
والشراء.. إذا ضاعت الذكورة فالمزيد من المال.. أبيع
وأشتري.. وعندما يأتيه ذلك الضمير التائه كفيل أفريقي
مكبّل في حديقة كاليفورنيا.. تأتيه لحظة كل سنة من التمرد،
تقول: لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟! ولا يُعرف هل التجأ إلى
عرائيس الذرة، أم ما زال يطمح بأن يفعل ذلك؟

أبو محسن: كفى.. كفى.. لا أريد أن أسمع هذه الشتائم اللعينة!!
عثمان: لولا إصرارك يا سيدي لما فعلت ذلك. أنا دمائي ثارت خاصة
مع نهاية ما كتب.. راح يهدد ويقول: إذا كنت قد قتلت
الرجال من أجل أن توفّق، فلا توقع لتبقى على قيد الحياة بلا
رجولة لتعذب أكثر.

أبو محسن: لقد أثرتني عليه، من هو بالضبط هذا اللعين؟
عثمان (يخرج ورقة أخرى من إحدى جيوبه الخلفية ويقرأ): اسمه
سعيد وأمه درّاية. يدّعي أنها خزمية. وأبوه اسمه شعيب.
مات من صغره فربته درّاية على اقتناص الأخبار وبثها في
الحواري.

أبو محسن: تخلصوا منه.
عثمان: سيقولون عندنا !!
أبو محسن: تخلصوا من القبيلة كلها.
عثمان: أهذا هو رأيك الأخير؟
أبو محسن: لا أرى غيره !
عثمان: أيها الحارس..

الحارس: شببك لبيك يا سيدي، عبدك الفقير الحقير بين يديك.

عثمان: دَعِ الرأس السبعة تدخل.

الحارس: أمرك يا سيدي.

(يدخل سبعة أشخاص بمظاهر مختلفة للغاية، ومن مستويات اجتماعية مختلفة أيضاً: مدرس، فلاح، عامل، ممرض، طالبة، قابلة، مختار)

عثمان: مهتمكم أن يصبح ابن درّاية من كبراء العسس، وأن كلامه ضدّنا كان من أجل معرفة ما عند الآخرين. وقولوا: إن شمشون اكتشف اللعبة، وقتله.

الجميع بصوت واحد: حاضر يا سيدي!!

عثمان: وعليكم (يتحوّل الكلام إلى لغة غير مسموعة لحظات من الوقت)

ستار

المشهد الثاني:

الجوقة: في الظلمة جاؤوا، وقالوا سرّاً:

خذها، ومت..

ماذا قلتَ وصوّرتَ؟!

هل ناضلت أكثر ممّا؟!

خذها، ومت...

ولماذا كتبتَ؟!

خذها، ومت..

من كاتم صوت...

من سيارة تنفجر...

من عدّة وسائل سرّية..

خذها.. ومُتْ.. وتشاهد...

(يدخل عسسي إلى حيث عثمان وأبو محسن كما كانا في المشهد

السابق)

العسسي: الحمد لله، يا سيدي، انتهت المهمة!!

عثمان: ماذا فعلت يا رجل؟!

العسسي: مات المكتوب في هذه الورقة!! (يقرأها عثمان).

عثمان: كيف؟!

العسسي: بكل الوسائل المتاحة !

عثمان: ولكننا نريدها وسيلة واحدة (يغمز العسسي) عليك أن تعترف.
أمام الجمهور الكريم (يغمره مرة ثانية) هل قتلت الشهيد ابن
دراية لأنك من عسس الأعداء ؟!

العسسي (غامزا): نعم يا سيدي. لقد كنت غيباً. (ثم يغمز) وها أنا
أتوب وأعترف لأنّ ضميري لم يسمح لي أن أخفي خيانة
شعبي.

عثمان: (غامزا العسسي): يا سيف
(يدخل السيف حاملاً كلاشكوف)

السيف: لبيك يا سيدي!

عثمان: اقطع رأس هذا العسسي الخائن.

السيف: خذها يا عدوّ الله، ويطلق عليه النار.

(فاصل من الظلام)

عثمان: الحمد لله، يا سيدي، كل شيء على ما يرام، القاتل والمقتول.

(ويغمز أبا محسن)

أبو محسن: وماذا يقول الناس؟

عثمان: يختلفون كالعادة.

أبو محسن: هل شكّوا فينا ؟

عثمان (وهو يحك شعره المنساب على أذنه اليمنى): قالوا: مات في

انفجار، ومات بحادث سيارة، واغتاله كمين الأعداء، وقتلته

مسلح يحمل كاتم الصوت.. وقالوا: دخل عليه حارسه

الخاص، وقتله. وقالوا قتلته عشيقه...

أبو محسن: المهم أنّ الأعداء قتلوا بطلاً.

عثمان: لكن يا سيدي...

أبو محسن (مقاطعاً): قل كل شيء من غير لكن.

عثمان: البعض يقول: إننا صفيناه!!

أبو محسن: في كل مرة سمعنا هذا الكلام، وهل للناس غير الافتراء علينا إذا ضاقت بهم الحال؟ وسيقولون يوماً عتاً إننا صفيناه أنفسنا.

عثمان: (وهو يضحك): سيقولون ذلك يوماً، لأنهم يتساءلون كيف مكثت طيلة هذا العمر من غير تصفية، وأنت الأحق بها من غيرك!

أبو محسن: وأخيراً قتلها يا عثمان. كنت أنتظر أن تقولها منذ أن انبطحت على هذا السرير. انزلق لسانك، وقلت...

عثمان: انزلاقة لسان يا سيدي، وهذا ما يقوله الناس. ألم تطلب مني أن أتحدث عن اللعنات عند الناس؟ وهذه الأوراق (يخرجها من إحدى جيوبه) وجدها العسس على طاولة ابن درّاية وفيها ما فيها..

أبو محسن: ماذا فيها؟!

عثمان: فصل مسرحي.

أبو محسن: دعك من التخريفات، ومن كلام الجرايد. على الذين يحترقون الثورة أن يكونوا من أصحاب الجلود السميقة

عثمان: ولكنتك لو تقرأ يا سيدي، ما فيها، لوجدت شيئاً خطيراً.

أبو محسن: المهم أن الأوراق أصبحت بين أيدينا، فاحرقوها.

عثمان: هذا إذا كانت هذه الأوراق النسخة الوحيدة.

أبو محسن: هل تعني أن هناك نسخاً أخرى؟

عثمان: حتى لو غابت إمكانية وجود النسخ الأخرى، فإنَّ هذا الكلام موجود في مجالس الناس، لأن ابن درّاية ينقلها من مجالسهم.

أبو محسن: حبّكتها.. قل ماذا فيها باختصار!
عثمان: سأقرأ لك بعض الأوراق (يمسك مجموعة من الأوراق، ثم يبدأ في القراءة بصوت منخفض، وأبو محسن يسمع ويهز رأسه وتدرجياً ينتقل الكلام من اللقاء بين عثمان وأبي محسن إلى اللقاء بين الشخصيات في مسرحية ابن درّاية، مما يشكل الفصل الثالث من هذا النص)

ستار
انتهى الفصل الثاني.

الفصل الثالث:

بين قراقوش وعلي بابہ

کلام أعدہ ابن درّایہ

المشهد الأول:

(امرأة عصرية تحاول ابعاد قراقوش عن القفز في حفرة في وسط المسرح)
المرأة: احذر يا سيدي لمن تترك جاريتك المخلصة؟ لا تقفز. لا تخض غمار الحروب.

قراقوش: ابعدني عني أيتها المرأة، لن أقبل العيش مثل النساء، لابد من المغامرة. إنها الأرض.. إنها الجذر والفروع.. ابعدني عني، لن أترك الأرض تصبح سراباً.

(يدخل علي بابا مسرعاً فتخرج المرأة)

علي بابا: هي قررت أن نخوضها، يا سيدي؟ لم يبق غير يومين علي رحيل حورس، وستكون لنا السيادة، فقط نريد عدة سيوف لنقتل بها شمشون، وتصبح أو تعود الأرض المباركة إلينا.
قراقوش: هيا.. هيا خوضوها مع الخائضين، وارضعوا من لبن دليلة، لتكن الدائرة عليهم.

(ليل... وأصوات النار... وأصوات البشر...)

علي بابا: لقد خسرنا النصف يا سيدي!

قراقوش: قل لهم أن يحمدوا الله عل هذه النعمة. لقد ربحنا إذ حمينا النصف الآخر، وحافظنا عليه مهلة من الزمن. وسنعيد الآخر

في أقرب فرصة؛ قل لهم أن يمسخوا الدَّموع، ولا يخافوا.
علي بابا: يقولون لا أمل في العودة، لأن شمشون تحول إلى طير الرِّخ،
يأكل من كبد الأرض، ويجدد ما يشاء.

قراقوش: وهل حسبوا أننا قادرون على أن نقف في وجه حورس؟! إنه
كان وصياً، وما أن بلغ شمشون مبلغ الرجال، واحتاط
لدليلة، حتى أعطوها إياه بلا مهر. قل لهم لن نقبل بغير
العودة، ولا تكثرث لما يقولون.

علي بابا: إنَّهم لا يفعلون شيئاً، يا سيدي، لأنهم يموتون بؤساً وجوعاً
وحنيناً، ولا أمل عندهم في العودة.

قراقوش: الذنب ليس ذنبنا، إنه ذنب العالم كله، لم يكن في أيدينا
شيء وأخفيناه، ولكنَّ النَّاس يكفرون بالأنبياء.

علي بابا: سأفعل كل ما يمكنني لأجعلهم يتأملون، فإنهم ما زالوا
يملكون مفاتيح بيوتهم وذكرى الخُصرة.

(يخرج علي بابا.. ليل)

المشهد الثاني :

علي بابا داخلاً: الحرب تُفرش علينا يا سيدي
قراقوش: قل لهم: أن يُلقُوا بهم في قعر البحر، لتأكلهم الوحوش .
علي بابا: ولكنَّ الوحوش جائعة !
قراقوش: هذا ما نبحث عنه، يجب أن يذوبوا في الماء.
علي بابا: على بركة الله سنخوضها. لم يبق إلا النصر أو الهزيمة لهم.
(مزيج من أصوات إطلاق النار وأصوات النَّاس)
قراقوش (بعد أن يأتيه علي بابا): خبّرني ما الذي يحدث؟!
علي بابا: لقد خسرنا النّصف الآخر!!
قراقوش: هل هذا معقول؟!
علي بابا: إنهم يقولون حافظتم عليها حتى أصبحوا فتية!!
قراقوش: الناس ؟!
علي بابا: في مصيبة !
قراقوش: قل لهم: أن يشربوا دماءهم، وسنعيدها لهم.
علي بابا: لن نقبل بالقسمة والنصيب، نريدها كلّها كلّها يا سيدي،
وإلا أكلتُ النَّاسُ وجوهنا.
قراقوش : ما دامت هذه رغبة الناس، فقل لهم: إننا سنعيدها كلّها

لهم، ولكن علينا أولاً أن نصبح متوازنين معهم. وسنحارب
أولاً جويتر الذي لولاه لما بقي لهم وجود.
علي بابا: إن الناس يثقون بك يا سيدي ما دمت ترفض ما يقترحون
عليك. نريدها كلها.
قراقوش: ما دامت حياة الناس مصرة على أن نواصل، فخيرهم أننا
سنواصل، ولن نضحى بشبر من سوروب.
(يخرج علي بابا.. الليل)

المشهد الثالث:

علي بابا: وهو داخل: كل الناس ثاروا يا سيدي.
قراقوش: وهل حملوات الأسلحة؟!
علي بابا: كلهم. حتى حمدان الأعرج حمل المدفع فوق ظهره، وقال:
يا فتّاح، ويا صَبَّاح. أيام اليوم غير أيام زمان.
قراقوش: لقد كانت الكرامة كرامة بها هم الناس يتخلّصون من
خوفهم، ومن يأسهم، ويعودون إلى الوغى.
علي بابا: لقد أصبح شمشون يحسب لنا ألف حساب، لقد انتصرنا
عليه.
قراقوش: عليه أن يفهم أنّ الناس هنا سيأكلون لحمه نيئاً في يوم من
الأيام. وسيعرف من هم أهل سوروق.
علي بابا: سأبشر الناس بهذه الأخبار المتفائلة.
(يخرج.. ليل)

المشهد الرابع:

(يدخل علي بابا)

قراقوش: ما الذي أسمع، أإلى هذا الحد تصل الأمور؟!
علي بابا: لا أخفي عليك يا سيدي فإنّ الخلافات شديدة بين الناس
وبين الدّرك.

قراقوش: هل فقدوا ثقتهم بالدّرك؟ قل لصاحب الدّرك إنّنا لا نريد
حرباً مع الدّرك. نشأنا لنحارب شمشون. ولا شيء غير
شمشون...

علي بابا: يدّعي الدّرك أنّ النّاس تمردوا عليهم، وأنّ أمورهم لم تعد
مرضية. بل أصبحوا لا يملكون شيئاً حتى شعاراتهم.

قراقوش: العملاء هم الذين جعلوا الأمور تصل إلى الحضيض؟!

علي بابا: الأمور خرجت من أيدي الجميع.

قراقوش: وماذا تقترح أن نفعل ؟

علي بابا: علينا أن نخوضها، لأنها مفروضة علينا، وإذا لم يتغدّ بعضهم
ببعضهم لم يتعشّ بعضهم ببعضهم.

قراقوش: وإذا خسرنا؟

علي بابا: لماذا أنت هكذا؟ هل يخسر النّاس، وهم النّاس - مقابل

حفنات من الدّرك ؟!

قراقوش: خوضوها.

(خرج علي بابا.. أصوات الناس وأصوات البارود)

قراقوش: (وحيداً): سيأتي، ويقول لي: خسرتها يا سيدي. أعرف ما هي الأخبار التي يحملها. ولكنني لن انتظر هذه المرة؛ لأنه قد لا يأتي. أنا أعرف أكثر منه، وإن جاء سيقول لي: عليك أن تهرب يا سيدي. وكيف أهرب؟ سأتصل بالدّرك (يرفع سماعة الهاتف) هلو.. إسمع يا علي، سنخرج إلى بلد آخر، لكن عليكم إعطاءنا الهدنة، يجب أن يُسمح لكل من يرغب في الخروج أن يخرج. لا نريد مزيداً من الموت. ابعثوا لي السيارة، وسأخرج من النافذة. لا أريد لنفسي الإحراج، اتفقنا، مع السلامة.

(يخرج قراقوش من النافذة، ويدخل بعد فترة قصيرة علي بابا من

النافذة)

علي بابا: (لنفسه): سيسألني عن الموقف، وسأقول له خسرتها، وسأقول له الحمد لله على سلامتك يا سيدي، في المال ولا فيك. لكن أين ذهب؟!

هل عرف ماذا حدث للناس؟ لقد حلّ عليهم الويل.
عليّ أن أهرب (يرفع السماعة) هلو... مرحباً يا سيّد علي، سنسلّم الأسلحة، وسنخرج إلى بلد آخر، ابعثوا لي سيارة عند النافذة، مع السلامة.

(يخرج من النافذة...)

المشهد الخامس:

(يدخل قراقوش وعلي بابا إلى الخشبة، وهما في حالة من الفرح)
قراقوش: الحمد لله. قلنا الأمور انتهت، وإذا بها تصبح أقوى مما كانت!

علي بابا: الناس يا سيدي لا يمكن أن تتخلى عن جذورها.
قراقوش: ما زلنا غير بعيدين عن شمشون، المهم أن يشعر بالخطر دائماً، لا نريده أن يهدأ. يجب علينا أن نلهب مفاصله في كل الأحوال.

علي بابا: الكل يسعى إلى محاربة شمشون.
قراقوش: كان عليهم أن يفعلوا ذلك، أعني أن نفعل ذلك، منذ زمن.
علي بابا: الناس يقولون إنها مفروضة علينا من أجل رد شيء من الاعتبار.

قراقوش: مهزلة، ويجب أن تنتهي منها.

علي بابا: سنخوضها مع الخائضين.

قراقوش: هل بدأت؟!

(أصوات ناس، وإطلاق نار)

علي بابا: أظنها بدأت، سأخرج الآن، عن إذنك يا سيدي.

(يخرج ... ليل..)

(يعود علي بابا على جناح السرعة)

قراقوش: ماذا حصل؟ أراك تعود سريعاً !

علي بابا: لقد انتهت الحرب.

قراقوش: على هذه السرعة؟! أكيد هُزمتنا .

علي بابا: سمعتُ الإذاعات تردد التصبر.

قراقوش: هل جهزتم أنفسكم لكي نعود ؟

علي بابا: الصحراء عادت، ولا شيء غيرها.

قراقوش: وسوروق؟!

علي بابا: لولا جويتر لأصبحنا الآن هناك. إنه مدّ كل الجسور والأنداء

إلى شمشون.

قراقوش: والناس ؟!

علي بابا: يقولون انهزمتنا. فقط عملوا اللعبة كي يسيروا خطوة خطوة

نحو التوقيع.

قراقوش: وهل وقّعوا ؟!

علي بابا: عادت إلينا الصحراء.

قراقوش: وسوروق؟!

علي بابا: قالوا علينا أن نفاوض، وألا نرفض ما يقدمونه من حلول.

قراقوش: هل يعرف الناس ذلك ؟!

علي بابا: هناك بعض العرافين يقولون ذلك.

قراقوش: وهل يطلبون أن نوقع ؟

علي بابا: نحن لا نملك التوقيع على حقوق الناس.

قراقوش: قل للنّاس إنّنا ضد كل ما يحدث، وسننتصر كما انتصرنا في
التواريخ الأولى.
علي بابا: سأذهب لأخبرهم بذلك (يخرج ... ليل)

المشهد السادس:

(يدخل علي بابا...)
علي بابا: مصيبة يا سيدي، مصيبة.
قراقوش: اهدأ وقل ما عندك، لا يوجد أكثر من المصائب.
علي بابا: الحرب الحرب.
قراقوش: مع شمشون؟!
علي بابا: بين الناس!
قراقوش: أهلية؟!
علي بابا: استنزاف!
قراقوش: أنخوضها؟
علي بابا: مفروضة علينا!
قراقوش: خوضوها!
علي بابا: سنخوضها
(يخرج علي بابا... أصوات إطلاق النّار... وأصوات الناس... ليل..
يعود علي بابا...)
علي بابا: الحمد لله على سلامتك يا سيدي.
قراقوش: لكن الحرب لم تنته (الأصوات) أسمع؟!

علي بابا: لا أظنها ستنتهي.

قراقوش: والخسائر؟!

علي بابا: مهما خسرنا فسنخرج دائماً الأقوى !

قراقوش: ولكنها حرب طويلة الأمد، وشمشون هو المستفيد من كل ذلك؟!

علي بابا: مفروضة علينا .

قراقوش: حاربوا على الجبهتين حتى لا يقال نسينا عدونا الرئيسي.

علي بابا: سأطلب منهم ذلك

(يخرج ... ليل..)

المشهد السابع:

(يدخل ساعدة: مرتباً)

ساعدة: الحرب، يا سيدي، الحرب.

قراقوش: سيعرف شمشون من نكون .

ساعدة: ولكنها حربٌ مع الجيش !

قراقوش: خوضوها، أيضاً، واجعلوا الناس يعرفون أننا نحارب على ثلاث جبهات.

ساعدة: نحن نخوضها منذ فترة، ولكننا سنكون الأقوى، دائماً مع السيوف نتوحد.

قراقوش: وكيف الأمور؟

ساعدة: الضحايا والأموت كالتين !!

قراقوش: هم الذين لا يريدوننا أن نحرك أسرّتهم، لا يريدوننا أن نزعج رقادهم، يريدون التوازن أولاً، ونحن نقول اجعلوها حرباً شعبية طويلة الأمد.

ساعدة: وهناك أخبار تصلنا عن اقتراب موعد الاجتياح.

قراقوش: وسيحدث الحصار، هذا الذي يريدونه منا، أن نحاصر.

ساعدة: وماذا تقترح أن نفعل بعد أن شدّدوا الحصار على المدينة.

قراقوش: ستترك الدّيار من أجل الأهالي الذين صمدوا، واستضافونا طيلة الأعوام الماضية.

ساعده: وأين نذهب ؟

قراقوش: لقد اتفقت معهم على الترتيبات، وعلى توفير الحماية للمهاجرين.

ساعده: هناك من يرفض أن يخرج، ويهدد.

قراقوش: إِفْصِلُوا، وَصَفُّوا، وإِذْفَعُوا..

ساعده: والانشقاقات ؟

قراقوش: أمورها محسوبة.

(يخرج ساعده ليرتب الأمور، معلناً عن ذلك أمام قراقوش)

المشهد الثامن:

(يدخل علي بابا ممزق الثياب، أشعث الشعر، مكسور الجناح، باكياً، ولا يتكلم)

قراقوش: الله: ما هذا يا علي بابا؟! قامت الحرب، وانهزمتنا فحدث لك ما حدث؟!!

علي بابا: لم تقم الحرب، لأننا لم نعد نملك أسلحتنا .

قراقوش: من الذي فعل بك هذا؟!!

علي بابا: حدثت المجزرة الكبرى في الديار.

قراقوش: أرعبتني. قلت في نفسي: مصيبة حدثت وفعلت بك ما فعلت. اطمئن يا رجل، وقم واجمع لي الرجال أصحاب الأعمال والمواطنين في الصحراء، وقل لهم أن يناموا في هذه الليلة مع نساءهم بعد أن يلغوا حواجز الحجر، ويقرروا أن يُنجبوا، ليكون عندنا على أسوأ التقديرات خمسة آلاف بطل بعد تسعة شهور.

علي بابا: سأفعل (ويبقى جالساً)

قراقوش: هيا. تحرك. ماذا حدث لك؟!!

علي بابا: لم نعد نملك شيئاً يا سيدي، يجب أن ندفع حتى يُنجبوا.

قراقوش: أجننت؟! ما الذي تقوله ؟!

علي بابا: هذا هو الواقع. لا أنام مع زوجتي إلا إذا دفعت.

قراقوش: أنا سأتزوج لأنجب لكم قراقوشاً آخر، ولم أدفع لنفسي غير ما أستحق . ولا يوجد أموال.

علي بابا: هكذا تعودنا وتعودوا.

قراقوش: إذاً علينا أن نكتف السّياسة، وأن نشجب الإرهاب، وأن نلغي الفهود، ونحوّل إلى الحمام.

(يقوم علي بابا).

علي بابا: سأفعل ذلك.

(ستار من الليل...)

المشهد التاسع:

(يدخل عثمان حيث يكون أبو محسن على السَّرير جالساً، يشدُّ شعره)

عثمان: المهم أن تقوم لنا بالسَّلامة يا سيدي، ماذا كان بإمكاننا أن نفعل ولم نفعل ؟!

أبو محسن: لم تفهم ما أنا فيه. إنَّني بائس يا عثمان. لأنَّ ابنَ دراية كان كابوساً يكتُم فوق صدري، وكان يصرخ.

(يتحوَّل المشهد إلى الحلم)

ابن درَاية: الدماء الدماء الدماء (وهو على صدر أبي محسن).
أبو محسن: كن مكاني أيها الكلب. لن تفعلَ غير ما فعلتُ.

ابن دراية: كانت دماؤنا رخيصة. ودماؤهم غالية!!

أبو محسن: حاربنا كُلَّ العالم!

ابن درَاية: وخسرنا كلَّ الخسائر !

أبو محسن: وكنتم تصفقون. وعندما وقع الجمل سحبتُم السكاكين.

عثمان: وما زلنا أقوىاء سياسياً (يحاول إبعاد ابن دراية عن صدر أبي محسن)

ابن دراية: أنظمة ومكاتب وتخطيط لتصفية العقول والأفكار الفتية!!

أبو محسن: أنت تكتب في الظلال، ونحن صنعنا هذا الإرث عندما
شاركنا الوحوش طعامها، وكنا رجالاً وبنادق، والظرف الآن
يتطلب أن نحافظ على المكاسب.

ابن دراية: ولم يبق ليرث المكاسب إلا المرتزقة وأصحاب الكروش.
عثمان: اخرس أيها الأحمق (يلتفت إلى أبي محسن) منذ متى تسمح
لمثل هذا أن يلعن الشرفاء؟

أبو محسن: اسكت يا عثمان هذا ابن دراية، هذا حبيبننا، من غيره ينه
إلى الأخطاء؟! نحن نريد الشرفاء المخلصين ليكونوا ساعداً
أيمناً، ولا نريد المنافقين!!

عثمان: هذا ما أردت أن أقوله، نريد أن تكون الأشياء داخلية بيننا، وأن
لا تقال للآخرين.

أبو محسن: اكتب صكاً بتعيين ابن دراية مستشاراً ثقافياً.

ابن دراية: ومن أيّ تريدون حسن السلوك لأجلبه لكم ؟
أبو محسن: هذه أمور لا يجوز المزاح فيها يا ابن دراية، أنت منا وفينا،
ولا نريد لغسيلنا أن يُنشر ليراه الآخرون.

ابن دراية: تريد قتلي؟ تريدني بائعاً للفتي؟ الأفضل أن تسجنني في
جبال القوقاز، وتطلق عليّ رخك النتن لتأكل من كبدي.
دماء دماء دماء

(يخرج ابن دراية، وعثمان، ويصحو أبو محسن من النوم مرتعباً)
أبو محسن: وقمت مرتعباً من النوم. لقد هجم الطير الرّخ عليّ وفشّ
عن كبدي، وأنا أصرخ دماء دماء دماء، كما كان يفعل ابن
دراية، ثم عانقني. وكانت هناك امرأة تتقياً.

عثمان: خير خير يا سيّدي، يقولون في تفسير الأحلام: إن المصيبة

فرج. وأنا أشتّم في هذه الأيام فرجاً في الأجواء، ولن أتحدث عنه الآن حتى لا ينتحس.

أبو محسن: لقد شوقتني، قل ما عندك! فأنا الآن أشعر بالراحة. الحلم أزاح كتلة الصداع، فهدأت...

(تدخل المريضة وهي تحمل حقنة)

أبو محسن: لا أريد الحقنة. أنا الآن هادئ.

المريضة: أوامر الطبيب. هل أنت أعرف منه؟ يجب أن تُهدأ بالحقنة. إنه المختصُّ بحالتك.

عثمان: خذها يا سيدي، إنها العلاج. أنت الآن لا تعاني، من يضمن ألا يأتي الصداع بعد دقائق؟

أبو محسن: حسناً حسناً... افعلي ما يروق لك

(تعطيه الحقنة وينام، تخرج المريضة، وعثمان).

وينتهي الفصل الثالث.

ستار.

الفصل الرابع:
صياغة جديدة
لملحمة جلجامش

المشهد الأول:

فتاة أوروكية: كل البلاد فتّقت جسدها لجلجامش، فأخذ الرجال من بيوتهم، وألقى بهم في الثغور يحاربون ويرابطون. وما زالت الطبول فاغرة. أجوافها تطلب المزيد من الذكور. وأصبحت العذراى يتلصصن أو يضاجعن الغرباء، يتسوّلن في شوارع أوروك. وما زلت أنتظر جيبى كعذراء راجفة. سنوات ولا أرى غير وجه جلجامش على أسوار أوروك.

ابن دراية: اسمعي أيتها الحسنة: إن جلجامش سيّد من أتباع جوبيتر، سلطه على الفتيان ليكونوا درعاً لا يحمي أوروك، وإنما يحمي مخازن القمح التي تباع للمقاتلين مقابل ما يقدمون من العرق والدماء. ولم يكن جلجامش غير بطل من الورق.

الفتاة: ومن يجرؤ أن يقول له ذلك؟! إن الصحراء كلها تدفع له، والعذراى يضاجعن من هبّ ودبّ، ولا يعود الرجال. إنّه الخراب لأوروك، وجلجامش بطل!!

ابن دراية: ألا يهدأ هذا الفارس؟! ألا يهدأ دون كيشوت؟!

الفتاة: جيّش الجيوش، ومن يعترض يعيش أو يموت بتهمة الخيانة. أحكم القيود على أوروك، جعلها نسرأ، فقصّ أجنحته، ثم

أمر الجند فحفروا حفرة عميقة وألقي النسر فيها، وما زالت
أوروك تصرخ.

ابن دراية: ولكنَّ الريش ينبِت .

الفتاة: يقوم بقصُّه كلما نبت، ودائماً يتخذ الحرب وسيلة لصمت
أوروك المعذبة.

عثمان (داخلاً): من! ابن دراية؟! ألم تمت؟ كيف عدت من العالم
السفلي؟ مع من تأمرت هذه المرة؟ ومن أين جئت بهذه
الحسنة الجميلة؟ أعرفك أنت وجه للنحس! هل قررت أن
تحمل السلم بالطول؟

أبو محسن (داخلاً): عثمان.. عثمان.. عثمان... أين أنت يا عثمان؟!
عثمان: أنا هنا يا سيدي، أنا هنا.. جئت أبحث عنك.

أبو محسن: من؟ ابن دراية؟ السَّلام عليكم! سأخرج.. ربما أخطأت
الطريق، فأصبحت في العالم السفلي. ولكن كيف جئت إلى
هنا يا عثمان؟!

عثمان: الحمد لله على سلامتك يا سيدي، قالوا لي: إنَّك مت !
أبو محسن: وأنا قالوا لي: إنك متٌ.

ربما متنا في اللحظة نفسها وافترقنا. إنَّك مساعدي. تقدمت
عليَّ لتتأكد من سلامة المكان، ولكنني لا أذكر أنني مت. ومع
ذلك كيف عاد ابن دراية إلى عالمنا؟ ومن هذه الجميلة؟ هل هي
التي ذهبت إلى العالم السفلي وخلصته؟ أمر يحيرني، وكبير
عسسي لا يعرف شيئاً. هذا تقصير منك يا عثمان، يبدو أنَّك لم
تعد صالحاً لما يستجد من مهمات!!

عثمان: على رسلك يا سيدي، لا تتسرع. فأنا لا تغيب عني صغيرة ولا

كبيرة، وأنت تعرف من هو عثمان! ولكننا عندما خرجنا من المدينة ما عدنا، أنا وأنت نسيطر على التَّاريخ. الفتاة التي تراها فتاة أوروبية مخدوعة. ربما ذبحت منذ زمن فجاءت إلى ابن دراية؛ تحسبه حبيبها.

أبو محسن: وهل أنت متأكد أننا لسنا في العالم السفلي؟
عثمان: كما أنا متأكد من أننا أكلنا معاً أمس تفاحاً مع جلعامش.
أبو محسن: لا أظن الرجل ابن دراية! ألم تخبرني أنكم صفيتموه؟ بل ربما خدعك عسك.

عثمان: تأكد يا سيدي أن الأمور تمت كما نريد، وأن ابن دراية إذا عاد فعودته عودة تناسخ لا غير، من أجل هذه المرأة المشكِنة.

ابن دراية: من؟ أبو محسن؟ متى جئت إلى العالم السفلي؟ الآن؟ وكيف حدث ذلك؟! لقد تخلصت مني عندما نمت على صدرك تلك الليلة. وبعدها بحثت عنك ولكنني فقدتك! قل لنا كيف جئت؟ عثمان؟! أنت الذي بعثته إلى هنا، وأنا بعثني عثمان، وهذه الفتاة الأوروبية بعثها جلعامش، لكن أنت، كيف جئت؟ هل أكلك الصداق؟ أم أنك ما عدت صالحاً بعد أن وقعت على بيع سوروب؟!

أبو محسن: اخرس أيها المتعفن، فأنا ما زلت سيداً، وكلمتي هي التي تُسيّر الأمور كلها.

عثمان: عد إلي رشذك يا ابن دراية فأنت هناك جثة، وهنا ربما كنت روحاً تلبست جسداً ما. أما نحن فما زلنا كما كنا.

ابن دراية: لو صدقنا أن أبا محسن ما زال حياً، فإنه قتلك بتوصية من جلعامش.

عثمان: قل له يا سيدي: إنه كذاب أشر.

أبو محسن: المهم لماذا حشرت هذه الفتاة معنا؟ لا أذكر أن لي عليها أو لها عليّ حقاً.

ابن دراية: هل نسيت بندورا، يا أبا محسن؟ هل نسيتها يا عثمان؟ لقد جاءت لتقتص منكما !

أبو محسن: لا.. لا.. لا يمكن أن تكون بندورا.

عثمان: أنا من يعرف بندورا، إنها أحببتي، ولم تكن تلبس هذه الملابس الأوروكية. ووجهها ليس وجهها.

ابن دراية: ربما تغيرت ملامحها. لكنها بندورا التي حجزت في جبال القوقاز، وما أن أنهكت كبدها حتى تركوها لتكون في العالم السفلي. لم يجددوا كبدها، ولكنه سينمو ويصبح كبداً، وحينها ستخرج من هذا العالم، وسأخرج معها عندما أشرب ماء الحياة، وأعود، وتبقيان في العالم السفلي تتلاومان، وتتخاصمان، وتذكر يا أبا محسن كيف جئت إلى هنا. أما عثمان فسيعرف أنك قتلتَه عندما طلبت ذلك من عسسي، كما فعل معي: قتلني العسسي، وقُتِل.. ولكنك ادعيت أنك قتلت العسسي الذي قتل عثمان، ولم تقتله. ما زال يحرس امرأتك التي أنجب لك منها قرقوشاً آخر.

أبو محسن: سأخلص منك بنفسِي، وستعرف من هو أبو محسن.. (يهجم عليه)

بندورا (تضرب أبا محسن على رأسه): ابتعد عن الفتى.

أبو محسن: سأعرف كيف أخلص منك، فأنا لا أرفع يدي على امرأة.

عثمان: اتركهما يا سيدي نحن الآن في حالة حرب، سيفتح

جلجامش الصحراء ويستولي على الصندوق، ويحرر
سوروق، ويكسر أنف جويتر. وليس من المعقول أن
نحارب ابن درّاية وبندورا، هذا إذا كانت هذه المرأة ببندورا.

(أصوات إطلاق المدافع... وأصوات الطائرات)

عثمان: الحرب توهجت، وسيتنصر جليجامش، وعليك أن تعرف يا ابن
درّاية أننا نقف على أرض ليست أراضيها، وإذا حملنا
السيوف في وجوه أسياد الأرض فسوف نصبح مسؤولين على
أبواب جويتر. أنا أريد الدّخول إلى الأرض من أبوابها
السبعة، ولكنهم هم الذين لا يريدون، وما علينا إلا أن نوافق
بالعودة إليها من النوافذ، وعندما نتوطن ويموت جويتر سنقف
على أرجلنا، وندخل الأرض من أبوابها، فنصلب شمشمون.
ابن درّاية: أنت الآن في العالم السفلي، فاعسل يديك منها، واتركها
للأجيال القادمة تحبّز وتعجن.

أبو محسن: ولكن جليجامش بطل وقوي، وسنقف معه. إنه انتصر على
أنكيديو. انتصر عليه، وسيتحالفان، وستنضم إليهما القبائل
وننتصر على جويتر، وإذا انتصرنا على جويتر ننتصر على
شمشمون، وستعود لنا سوروق.

ابن دراية: الناس في العالم السفلي تكبر أحلامهم، بل يبالغون فيها.
إنهم يتكثرون في ذلك على العرافين.

عثمان: في الماضي لم يكن غير أنا وأنكيديو. كنا في البوادي
كالوحوش، كنا آلهة للحشائش والقطعان، أكلنا مع الغزلان،
وزاحمنا الوحوش على منابع الماء، ويقولون: ثمة رجال
جليون ينزلون إلى مواطن الماء، فيرعبنونا. هم كالآلهة

يتجولون في الهضاب، ويأكلون الحشائش، ويشربون الماء مع
الدواب.

ابن درّاية: كُثّا... ولكنهم دجنوكم في مدنهم الغريبة، وأصبحت
تطلبون من الدرك أن يحموا أموالكم، وتدفعون لهم الجزية.
عثمان: سأقتلك هذه المرة بيدي: (يهجم عليه ولا تَرُدُّه إلا أصوات
المدافع والطائرات)
(..... ليل)

الراوي: قام جلعامش في تلك الليلة من نومه فزعاً، وخرج إلى حجرة أمه التي كانت تدعو له بدوام الملك على أوروک. وقال لها: أماه هبط إليّ رجل من نجوم السماء، فصارعته وكان قوياً، ولم أستطع بعد لأيّ زحزحته، وعانقه رفاقي، ثمّ شدّني إليه كما يشد الرجل حبيبته. قالت له أمه فرحة: لا تحزن، فالقادم إليك من السماء رجل غريب، لن يعادلک أبداً في القوة، وسيكون لك رفيقاً ضعيفاً، فشده لك في الحلم دليل على أنّه لن يخونك حتى لو خنته، فنّم قرير العين هادئ البال، وانتظر ما تبعث لك السّماء...

(أصوات التّيران والطائرات. أبو محسن وعثمان يستلقيان على بطניהما. وابن دراية وبندورا يتحدثان من غير أن يسمع الجمهور كلامهما، وبعد وقت)

ابن دراية: أين ذهب البطلان ؟

عثمان (قائماً) اسمع يا ابن دراية، هل تعتقد أنّه لا عمل لنا إلا أنت؟! كيف تعلمنا دروساً في الأخلاق!

ابن دراية: أين سيدك؟ قل له أن لا يختبئ فالحرب لن تناله لأنّه في العالم السفلي. لو كان بإمكانكم أن تقطعوا رأسي كما

فعلتها في الزمن من الغابر لفعلت، ولكننا الآن في الهوى
سوى.

بندورا: ولكنهم يهجمون الآن على أوروك. ويقولون جلجامش انتصر
على أنيكدو ليقتلوه في هذه المعركة.

أبو محسن: ستقف مع أوروك؛ مع مدينة الأحياء؛ المدينة التي انتظرناها
بفارغ الصبر، هذه مدينتنا بعد تلك التي اغتربنا بعد الرحيل
عنها. وسأعلن أمام الأشهاد أن معركة أوروك معركتنا.
وسأخرج من هذا الجحيم (يلتفت إلى عثمان) أنبيء العسس
أننا سنخوض معركتنا الجديدة والأخيرة، والتي إذا لم تنتصر
فيها فعلى البقاع في أوروك السلام.

عثمان: سأفعل يا سيدي وستشاركني بندورا، ما رأيك يا بندورا.

بندورا: سأقف معكما، فمعركتنا هي معركة أوروك.

عثمان: وستقف معنا أيضاً يا ابن دراية، ستقف، لأن هذه معركتنا
الوحيدة.

ابن دراية: أنا مجبر على الوقوف معكم رغم أنني أعرف نتيجة هذه
الحرب المخطط لها، ولكن مجبر أخوك لا بطل.

الزّاوي: الناس في بلادنا يتصالحون، عندما يسمعون صوت إطلاق
التّار. وإذا تُركوا للكلام اختلفوا، وتحاربوا. ولكنّ المصيبة أن
الأعداء يعرفون أسرار بلادنا، فعندما جاؤوا وأخذوا الخيرات،
وبقيت الخيرات عادوا، لأنهم كانوا قد خلفوا مشاكل
الحدود، فتحارب الإخوان، ولم يتصالحوا لأنهم يدفعون لكي
لا يتصالحوا، فأصبحوا بنعمة ربهم أعداء. ولكنّ القلوب لو
قررت أن تتلاقى، فسوف يكون كلامٌ غير هذا الكلام، ولن

يعود بين الناس حدود أو حدود.

ابن دارية: أيتها المدن الحزينة الباكية، يا مومس التواريخ الحديثة؛ لا تنتظري أنكيديو كي يفعل شيئاً، وجلجامش لن يفعل غير الهزيمة وانشطار العقول، يقتل الرجال في الثغور، وينام مع العذارى في الخدور، يجذبهن كما جذبه أنكيديو في الحلم، ويصبحن جواريه، لا يخنه حتى لو خان، وهو في كل يوم يخون.

عثمان وأبو محسن: أنكيديو بطل قوي مثل جلجامش، ضخم الجثة، عضلاته قوية، أكل الأعشاب، ولعب برجليه في مياه الجداول، وسعيد لنا أوروك كلها، وستعود سوروب.

ابن دارية: لا تفتأ؛ أنت ستكون أكثر صداعاً مما كنت، وأنت ستأكلك أحشاؤك عندما تروي أخبار الناس إلى أبي محسن، وستفقد متعة التلذذ؛ وأنت تتداخل مع أعراض الناس.. وفي آخر الليل ستروي لسيدك ماذا فعل شهريار مع جميلات الليالي، وقد تحضران عروسين ليلتقيا على السرير، تراقبان، وتآكلان.

عثمان: (لأبي محسن وهو في حالة تشبه السكر): ابن دارية مجنون، يتوهم، يتدلل علينا، ويعتقد أن العالم أسطورة!

أبو محسن: لا عليك. إنه مغرور مثالي، يعتقد أننا في العالم السفلي، ولكن المصيبة كيف رجع، من المؤكد أن العسسي خانك يا عثمان (أصوات الطائرات والمدافع)

الراوي: تناطحا بالرؤوس كما تتناطح الثيران.. وبعد لأي ولأي تمكن جلجامش من أنكيديو بعد أن أركعه على ركبتيه، وألقاه

أرضاً، وزمجر أنكيدو، ثم زمجر، فتصدى له جلجامش
وانتصر عليه، حينذاك جاءت أم جلجامش وقالت له ارتفع
رأسك فوق كل البشر، ومنحك الإله السيادة على الجميع.
ولم ييك أنكيدو، ولكنه قال لخصمه: الصرخة تنحبس في
حلقي، ويدي مشلولتان، وقوتي خائرة.

عثمان: قلت لكم: سينتصر جلجامش، وانتصر.

ابن دراية: وها هو جوبيتر يدّعي أن جلجامش بطل أسطوري، فيقرر
أن يخرب أوروك... وأنتم تنتظرون أن يقف أنكيدو،
ويحارب. تصفقون لأبطال مزيفين.

الراوي: عندما مررت في شوارع أوروك كان الناس لا يفعلون شيئاً إلا
أن يأكلوا، ويشربوا، ويتقوّلوا فينبون قصوراً من اللغة. وكان
عباد الله مغلوبين يدعون ويرجون أن تتغير الحال من حال إلى
حال: ربنا إنك سلّطت علينا مَنْ هم أشد من أعدائك، ربنا
إنهم طغوا وتجبروا، ربنا إن ظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
على الفتى من وقع الحسام المهند، ربنا فارسل عليهم طيراً
أبايل ترميهم بحجارة من سجيل. وكان الناس في أوروك لا
يملكون أسلحة خاصة يدافعون عن أنفسهم فيما لو دخل
عليهم الأعداء. فجلجامش أخذ السيوف الخفية حفاظاً على
أمن الرعية. وهم يدعون له بالخير والبقاء وعندما يختفون في
الدياجير تكون نقاشاتهم ساخنة ومساباتهم لاعنة. (أصوات
الطائرات والمدافع).

أصوات الناس (من الكواليس): جلجامش... جلجامش...
جلجامش...

عثمان: نعم. جلجامش.. جلجامش.. جلجامش.. ستعيدنا إلى سوروق. وأنت من سيحرك التنين الأكبر. جلجامش. جلجامش.

أبو محسن متثبلاً: غرد يا عثمان غرد. ودع المقهورين ينقهرُوا. ابن دراية: أنا لن أخسر شيئاً. أنتم من سيخسر في النهاية، غرد لسيدك، يا عثمان.

المخرج (داخلاً): أين المؤلف؟ لم أجده منذ الصباح! ولا أعرف كيف أنهى هذا المشهد، والحرب في أوروك على قدم وساق، وأنكيدو لم يتدخل بعد.

ابن دراية: ولن يتدخل أبداً حرب مدبرة.

المخرج: المهم أريد حلاً لنهاية الأمور في هذا المشهد.

ابن دراية: لماذا تؤخر قتل أبي محسن؟ اقلته، وسينتهي المشهد.

عثمان: الأفضل أن نعيد الحديث إلى مقتل ابن دراية، وننسى أوروك.

المخرج: لا يمكن قتل أبي محسن الآن.

ابن دراية! هل ضاقت البلاد عن البديل؟!

المخرج: كل الناس الآن في سوروق يثقون بحكمته عندما اتخذ قراراً

بالوقوف مع جلجامش، ونريدهم أن يثقوا به أكثر.

ابن دراية: تلميع؟!

المخرج: وجدتها. سأحلها من غير المؤلف. انتظروني.

(يخرج)

المشهد الثالث:

(يتململ أبو محسن وكأنه يصحو من النوم)
أبو محسن: ماذا يجري هنا؟ ماذا خططتم؟
المخرج داخلاً (لأبي محسن): هيا، تحرك إلى أوروك، ولتغضب عليك الصحراء.

أبو محسن: ومن لنا غير جلعامش الآن؟ وهي لعبة سنلعبها بإتقان.
المخرج (بصوت لا يسمعه عثمان): احذر، يا أبا محسن، من عثمان.
مساعد المخرج (داخلاً وهامساً لعثمان): احذر من أبي محسن، وتأكد أن الناس يثقون بك.

المخرج (للمساعد): هيا إلى الكواليس لتكمل العرض.
عثمان (في نفسه): يجب أن أتخلص من أبي محسن، لتكون كلمتي هي العليا.

أبو محسن (في نفسه): سأقتله وأمرهم أن يخلعوا قلبه قرباناً لسيدهم.
عثمان (في حالة ثورة على أبي محسن): يجب أن تتخلى عن كل الأموال المودعة في أرقام حساباتك. إنها أموال سوروق.
أبو محسن (غاضباً): وأصبحت يا عثمان تتجراً على أسيادك!! قبل أن أدخل إلى هذه الخشبة كنت مليارديراً، وسأبقى مليارديراً.

ليس من حق أحد أن يحاسبني.

عثمان: الأمور اختلفت عن الماضي. اليوم أصبحت لك زوجة، أصبح لك وريث، فلو متَّ ستملك الزوجة أموال سوروق لنفسها. يجب أن تسجل الأموال باسم مجلس سوروق. هذا هو قرار المجلس.

أبو محسن: الأحسن أن أسجلها باسمك، لتشتري وتبيع على راحتك

عثمان: لم تحكم سوروق إلا لأن الأموال مسجلة باسمك؛ هذه الحقيقة التي نعرفها معاً جيداً، ويجب أن تسجل الأموال باسم أصحابها.

أبو محسن: لم أدرك بأن كبير عسسي أصبح واعظاً!!
الخروج (داخلاً): ما الذي تطلبه يا عثمان؟ أتريد نهاية مرعبة لأبي محسن؟ أتق الله! هو لا شيء بغير هذه الأموال.

أبو محسن: لو تنازلت عن الحسابات فستقطع رأسي في اللحظة التي أوقع فيها التنازل.

(يخرج الخروج، ويخرج عثمان غاضباً)

زوجة أبي محسن: (داخلة وقد لبست ملابس ليلية، وقصة شعرها مثل الذكور): اللعنة على عثمان. الحمد لله أنهم تخلصوا منه؛ وأصبح طعاماً للديدان.

أبو محسن (باكياً): ولكنه كبير عسسي. لا أعرف ما الذي جرى له في الأيام الأخيرة؛ يطالبني بإعادة الأموال إلى سوروق!!

الزوجة: لقد سمعت كلامه. وهل سوروق على الخريطة حتى تسجل الأموال باسمها؟ اللعنة عليه ! إهدأ يا زوجي

الحبيب، واستمع لما أقوله جيداً..

(أبو محسن صامتاً)

الزوجة: أنا كبيرة العسس، ولا تعلن ذلك. وعليك أن تهتم بنفسك بعض الوقت، يجب أن تعالج نفسك. إنك تستطيع الوصول إلى من تشتهي من النساء. والعزافون يقولون: ستصبح ذكراً عندما تلتقي بعذراء موشومة باللون الأخضر بين ثدييها. يجب أن تبحث لتصل إلى تلك العذراء، لتعود لك الذكورة. أنا أريدك ذكراً بعد أن تنال عذريتها.

أبو محسن: حديثك مبطن؟!

الزوجة: يجب أن تعود لك الذكورة لكي نوهج العلاقة بيننا؛ يجب أن ننجب ذكوراً.

أبو محسن: هل بدأنا نشكو؟! ألم نتفق أن في الزواج جمعاً للعقيدين؟!

الزوجة: سيتأكدون من غياب الفحولة.

أبو محسن: يا كبيرة العسس، لو أردنا أن ننجب فإنّ أمور الإنجاب محلولة. ظروف صعبة، وعلينا أن نتعايش مع الواقع، ونترك دفعة السفينة للرياح.

الزوجة: أنت في نظري سيد الرجال، ولكنهم هم يضغطون من أجل إظهار الفحولة.

مساعد المخرج (داخلاً): يقولون: الحزينة دليلة أصبحت مهزومة بعد أن تهاوت عروش جلعامش. وفي الماضي كانت دليلة جميلة. وعندما اغتصبت، وأصبحت مومساً كانت أيضاً جميلة. نام معها شمشون، وأصبحت أكثر إشراقاً، لكنه

احتاط لها، وقيدها، ونام معها محتفظاً بسر قوته. وكانت أحياناً تصرخ وتغضب، أما الآن فلا تصرخ إلا إذا طلبوا منها أن تصرخ... ليقولوا: «ها هي دليلة تصرخ». وكانوا يطلبون منها أن تعشق مغتصبيها، أن تلتذ وهي تضاجع، أن تصرخ صرخة نشوة.

الزوجة: دليلة عجوز وما زالت متمردة. رغم التشويه لا زالت متمردة. إنها عدوتي. هي المسئولة عن موت اللقاء الشرعي بيني وبين حبيبي، كان يعشقها.. كانت زوجته. كانت كل شيء في حياته وكنت لا شيء. أجمل فتاة في سوروق أنا، ولا أكون شيئاً، ودليلة كل شيء؟ كانت قبيحة، وكانوا يقولون عنها: (رشيقة القد، قاعدة النهد، ذات حُسن وجمال، وقد واعتدال، وجبين كغرة الهلال، وعيون كعيون الغزلان، وحواجب كهلال رمضان، وحدود مثل شقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان، ووجه كالبدر في الإشراق، ونهدين كرمانتين باتفاق، وبطن مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب، وكلها ليلة طرية أو فضة نقية.. أو دينار في صينية) وأنا لا شيء... لا شيء...

أبو محسن: لا تغاري يا عزيزتي، فأنت كل شيء، وهي لا شيء.

المساعد: إنك أجمل منها. أنت التي قال فيك الشاعر:

إذا قلت هاتي نؤليني تمايلت على هضيم الكشح ربا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل.
أبو محسن: وقالوا فيك أيضاً:

هيفاء لفاء مصقولة عوارضها تكاد من ثقل الأرداف تنبت

(تتمايل الزوجة فرحة، وتحمل كوباً من الخمر، وترقص منتشية،
والرجلان يضحكان فرحين بفرحها)
الجوقة: جميلة هذه الزوجة.

ترقص كطفلة، وتنام نشوى.
وأبو محسن والمساعد يرقصان... ويضحكان
والناس هناك ييكون دماً.
من حق الطفلة أن تفرح...
من حق الأنثى أن ترقص، وتنام نشوى.

المشهد الرابع:

ابن درّاية (غاضباً): أين كنت يا عثمان؟ يجب أن تقول لسيدك: إنه سيموت. أيطن نفسه مخلداً؟! قل له: سيشرّد في العالم السفلي، وتأكّله الأفاعي، ليعاد خلقه مرّة أخرى وأخرى.

عثمان (داخلاً إليه) اسكت أيها الأحمق، وتمنّ ألا يموت أبو محسن الآن. إنّ أموال النّاس كلها معه، وسترث ذلك كله المرأة التي.. تزوجها. أنا صهره ولم يكتب باسمي، أنا شخصياً، شيئاً. ادع الرّب أن ينساه لاتدبر أمره.

ابن درّاية: كيف وأنت في العالم السفلي؟!
عثمان: أنا في العالم السفلي؟ أجنت ؟

(تدخل مجموعة من الجنود)

القائد: إنهما هنا، اقبضوا عليهما.

عثمان: ما هذا التخريف؟ أنا كبير العسس. من أمركم بذلك؟!
أبو محسن داخلاً: خذوهما إلى جبال القوقاز، واربطوهما بأطنان الحديد، وأطلقوا عليهما الرّخ. هذا (يشير إلى ابن درّاية) تأكل من لسانه، وهذا تأكل من قفاه.

(يقيد الجنود ابن درّاية، ويتركون عثمان).

عثمان: الحمد لله؛ تخلصنا من ابن دراية.

(يكممون فمه، ويضعون رأسه في كيس أخضر ثم يربطون يديه ورجليه، ويجرونه إلى الكواليس)

عثمان: لأي محسن: هل نحضر بندورا من جبال القوقاز؟

أبو محسن: لم يحن الوقت بعد، وربما لن يحين. (يضع يده على رأسه) هل سأموت كما مات عثمان؟ (يخرج عثمان إلى الكواليس، وتدخل الزوجة) تضع رأسه بين ذراعيها.

الزوجة: أما زلت تحلم بعثمان؟! عثمان راح، وانتهى أمره.

أبو محسن: مجرد هواجس؛ تهجم علي.

الزوجة: أنت مرهق من الضغوطات، وعندما توقعون سينتهي كل شيء.

أبو محسن: يطالبني بأن أتنازل عن الحسابات. نجوم السماء أقرب لهم مما يطلبون!! يخافون من موتي، ويدركون أنني إذا تنازلت عن الأموال أصبحت لا شيء.

الزوجة (وهي تتحسس وجهه): لن يستطيعوا إرغامك على شيء لا تريده، والذي لا يعجبه تصرفك عليه أن يكسر رأسه في الحيط.

قال لي العراف: إنك قوي وجبار مثل الأرباب، لكن جسمك كبقية البشر.

(صوت إطلاق نار وناس)

ابن دراية (مرتعباً): هزمت أوروك في دماغها عندما قرروا أن يصنعوا بطلاً ليهزموه. وأصبح الناس في حيص بيص... هل قررت أن توقع يا أبا محسن؟ إذا وقعت فلا تظنّ المعاهدات والمواثيق خالدة، ولن يعيش الطوفان الآسن للأبد.

الزوجة مهدهدة: نم يا حبيبي نم... بكره لما بيعجي طير الحمام،
بذبحلك قرن الغزال... نم يا حبيبي نم
الزّاوي: نم يا حبيبي نم.. ونام على فخذ تلك المرأة، وراح يحلم
بالخلود، وبالنبته البرية، ثم قام متعباً.
أبو محسن مرتعباً: الأفعى.. الأفعى.. الأفعى..
الزوجة: بسم الله الرحمن الرحيم، خير يا رب خير.
أبو محسن: أكلت النبتة... راحت النبتة.. وأصبحت خالدة.. وأنا
سأموت.

الزوجة: الموت حياة. نم يا حبيبي، بكره لما بيعجي طير الحمام،
بذبحلك قرن الغزال.

ابن دراية: ضاع رحيلك كله. ستموت بعد أن تحرق أوروك، بعد أنت
تحرق العنقاء. (ينظر ابن دراية للصالة) أما أنتم فشكّلوا كتلة
الوحد وارموها في الصّحراء. حينذاك سينبت فيها القمح
والعشب. لن يطول العناق بين الرّخ وبروميشيوس.

أنثى من الجمهور: ومن يصنع الوحد؟ الأنثى المهترئة؟! أم الذكور؟
ابن دراية: (يصمت) المكبلون في القوقاز.

رجل من الجمهور: لماذا تصمت؟! قل لنا: كيف؟ دلّنا على الطريق.
الجوقة:

هذا الرمل يتآكل..

ليس وحلاً..

لا يثمر..

هذا الرمل لا يُروى..

ليس أنثى..

لا يخصب..
ليس وحلاً.. لا يثمر... ليس أنثى... لا يخصب...
هذا الزمل ناس
هذا الزمل أرض
هذا الزمل ينجو
فقط...
إن أضحى وحلاً
فقط...
إن أضحى وحلاً.
فقط...

(ستار... انتهى الفصل الرابع).

الفصل الخامس:

شمشون ودليلة

المشهد الأول:

عثمان: سيدي أبا محسن..

شمشون: (مقاطعاً بغضب): مئة مرة قلت لك يا عثمان أنا شمشون. أنا سيدك. أما أبو محسن فيرحمه ربك. لا نعرف ما هي أحواله في العالم السفلي الآن.

عثمان: أنا آسف يا سيدي، لم أكن أقصد. أنت سيدنا شمشون، وسأكرر اسمك مئة ألف مرة، حتى لا أنساه أبداً.

شمشون: هات ما عندك، حدّثني عما يقوله ناسكم عني.

عثمان: يتدحون أحكامك العادلة. وعدد قليل منهم يعتبرونك مثيراً للشغب، ومحرقاً للذرة، وفاتحاً لبيوت الدّعارة في سوروب، وفاجراً وخليعاً.

شمشون: أهذا ما يقولونه عن حامي سوروب من خراب أوروب؟!

عثمان: وهل ما زلت مصراً على أن تضاجع دليلاً، وتنجب منها؟!

شمشون: لا حاجة لي بها الآن.

عثمان: يقولون: ستجعلها من جواريك، وتجعل خصيانك يمزقون جسدها ويدعكون ثدييها، ويُبسون شفتيها، ويتركون

جسدها في الشمس ليحترق... وإنكم ستجعلون ابنة بندورا
عبرة للخلق كافة.

شمشون: مرهم أن يخزّبوا سوروق وحقولها ويطأوا العذارى حيث
وُجِدْنَ. واحملوا الخنازير إلى براريرهم.

عثمان: منتشياً: أنت الآن، يا سيدي، شمشون بكل حذافيره،
وستعرف دليّة من أنت، وستتأكد أن عهد الغزل انتهى.
قلت لها : أنا عشيقك فرفضتني، طلبت منها أن تترحم
على أبي محسن فرفضت، دخلت عليها محملاً بالهدايا
فبصقت في وجهي، أكدت لها بأنني بروميثيوس فلعلت
ذكورتي المهزومة، قلت لها: قالوا لي: سوف تصبح يا
عثمان سيداً وفحلاً إذا ضاجعت دليّة فمكيني من
نفسك فبصقت في وجهي. قلت سأجعلهُ كوز الدرة
الذي أتلذذ به على جانب السرير. يجب أن يقتصبوها.
وحينها سأقبل بالظلم وأقول هنا كانت شفتها، وهنا
حلمتها وهنا... وهنا..

شمشون: ماذا أسمع؟! ماذا أسمع؟! لم أكن أعرفك عاشقاً إلى هذا
الحد!!

عثمان: إنها رفضتني، وطعنتني ألف مرّة.

شمشون: يعجبني فيك يا كبير عسس براريكم أنك لم تعد تساوي
شيئاً، وما زلت تطمح أن تكون شيئاً. لن أقتل أحلامك،
سأجعلك سيداً على دليّة.

الحارس (داخلاً): سيدي جيشنا الجيوش، وبدأنا نتحرك إلى أطراف
سوروق، أعني إلى دليّة.

شمشون: هيا يا عثمان، هيا نركب مع الجيش، هيا. وستكون دليلة مخزّية تحت قدّميك.

عثمان: لا يمكن أن أفعل ذلك يا سيدي، يجب أن يكون كبير العسس مخفياً. وماذا سيقولون (الناس) عنّا؟! هل أقول لهم جئتمكم محارباً من أجل شمشون، لكي تهاجروا من ديار سوروب؟

شمشون: وكيف تنال دليلة من دوننا؟!

عثمان: ليس من مصلحتكم يا سيدي أن أكون معكم ويراني الناس. سأذهب وأقف بجانب دليلة، وأقنعها أن ترحل من سوروب؛ ما دامت ترفض أن توافق على أن تكون من جواريك. ولم يعد لديها طموح لكي تعرف أسرار قوتك، لأنها تقول: قد عرفت سرّك من قدرتك على امتلاك الحديد. سأخوّفها من جنودك، وأقنعها بالرحيل وهو أمر أفضل للمحافظة على قطرات دماء جنودك.. سأكون أمامها بطلاً يخاف عليها. آه كم تبدو لي حينذاك طازجة.. آه كم أرى فيها عيون أمها بندورا التي أحبّتها، وأرادتني فحلاً لكن بروميثيوس كان آنذاك هو كلّ شيء، وكانت أخته زوجتي، ولم أكن فحلاً. والآن يجب أن أحقق نبوءة العراف؛ من يضاجع عذراء سوروب يصبح فحلاً.

شمشون: يعجبني هذا الحقّد. وسأمنحك فرصة كي تخرجها من سوروب، وأنا من سيدفع مهرها.

عثمان: يجب أن تقف معي في هذه المحنة، وأن تتقيد بكل ما أطلبه

منك، لأنني أعرف المداخل إلى دليلة، والمهم أن تحمي
جنودك، لأن: فتیان سوروق ما زالوا أقوياء، وسيوقعون
الخسائر في الجند.

شمشون: خذ زماً وأقنعها. ما يهمني هو وادي سوروق. أنا لم أعد
أطمح في اغتصابها. وأنا متردد في أن أتحدى خصماً
ضعيفاً. أخرجها وإلا سيدخل جندي ولن ترى دليلة
دليلة... (ملتفتاً إلى الحارس) ساعدوا عثمان، ورابطوا على
الحدود، وانتظروا أن تخرج دليلة من الوادي، ثم ادخلوا
سوروق آمينين.

الحارس: أمرك سيدي.

عثمان: لن أنسى هذه الثقة العمياء من سيدي.

شمشون: أنا أثق بك أكثر عندما أرى دليلة راحلة إلى أوروك.
ستجدني من أفضل من يعوض عليك ويجعلك سيداً
تنام معها بعقد قران (ضاحكاً) وربما بقصة حب
رومانسية.

عثمان: هي في النهاية حرّة؛ إذا لم تخرج فهي من يخسر لا
غيرها. حتى أوروك ستكون متفرجة، بل ومتلذذة على
صرخاتها.

شمشون: هيا.. هيا اخرجها، ولا تضيع الوقت.

(يخرجان)

شمشون وحده: كم أكره هذا المخلوق؛ بحسب نفسه أبا زيد
الهلال؛ تنتظره دليلة على أحر من الجمر. وما زال يجهل

من يكون شمشون. إنه لا يريد غير الغابرين على
هذه الأرض المباركة ولا يقبل من أهل سوروب غير
العبيد.

المشهد الثاني:

(أصوات ناس وإطلاق نار)

(تعمل دليلة في الأرض بمعول قديم، وتلبس ثوباً فلاحياً مطرزاً)
عثمان (داخلاً): لقد تغيّر الزمن يا دليلة، وما زلت لا تمتلكين غير المعول الحجري والأرض الجافة؛ لن تنتج قمحاً لتأكل. وأملك بندورا ما زالت مكبلة. ومات السيد بروميثيوس. وابن درّاية مصفد بالحديد في أعماق جبال القوقاز. والفتيان اندثروا تحت التراب كجنود مجهولين. وأوروك مدينة تصيح فيها الغربان. وجلجامش لم يمت إلا بعد أن تكاثرت البوم في الخرائب. وقالوا وقع أبو محسن ودخل تحت السدود المظلمة في العالم السفلي. والسماء تخلّت عتاً، وكانت أسافل سادوم أعاليها. ولم يبق علينا إلا أن نخرج من هذا البحر الميت، لأن القوة فيه لشمشون وحده. إنه يُشبه الآلهة... (وكانت دليلة صامتة تضرب الأرض بمعولها، ودموعها تنهمر كالطر فتختلط بتراب الأرض. ويقال إنّ الأرض كانت أكثر ليونة وحزناً، ففتقت عن نبات وردي بلون الحنون) كانت الأوراق معدة ومجهزة، وكنا مجبرين على أن نوقع، ونترك البراري لشمشون، يصول ويجول، وحراسه على مشارف

الأبواب قد يهجمون في أية لحظة. ولن يكون على الوجود عثمان أو دليلة... أنا ما أحببت سواك، وكما ترين ضحيت بكل شيء لأبقى في هذه الديار التي خُربت من أجلك. وكل القيود تلتف على رقابنا، وقد تخنقنا في أية لحظة إذا لم نقم بالخروج في الوقت المناسب. لا أحد يدافع عنك أو يقف معنا. أنا فقط الذي يتمسك بحبك، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً وحدي. كل ما أستطيع فعله هو أن أحبك حتى الموت لأنك حبي الوحيد، ولن أكون شيئاً إذا تخليت عن حبي.

دليلة: (ترفع رأسها الذي يحمل وجهاً حزيناً بلون الأرض): كل ما تقوله أعرفه. أنت كاذب في حبك لأنك تفضل أن أنتحر، أو أصبح جارية من جوارى شمشون.

عثمان: أنا أفضل ما تقولين؟! لو خيَّرت بين أن يموت أحدنا لاخترت لنفسي الموت ولك الحياة.. الحياة خارج سوروق، لأننا إذا مكثنا هنا فسوف يقتلنا شمشون. تأكدي أننا لا نخرج إلا من أجل أن نعود.

دليلة: أهذا ما وصَّاك به سيدك شمشون؟

عثمان: أنا أقول لك ما أرى، وبالتالي القرار قرارك، ويجب أن تعرفي أن قرارك يجب أن يختار أمراً من أمرين: أن نموت في سوروق، أو أن نرحل إلى أوروك.

دليلة: وأصبحت عرافاً؟ أنا الآن لا أختار إلا هذا المعول؛ لكي أبحث عن خصب الأرض. أما أنتم فعندما سمحتم لكل الأعداء امتلاك السيوف وامتلكتم الدنانير الذهبية جئتم إليّ وقد أصبحت أرضاً بوراً لتقولوا: اختاري بين الرّحيل والموت.

وكنتم تحمدون الله أن شمشون لم يتجرأ ويغتصبني، فأصبحتم تحملون بعذريتي أو الموت المثلج.

عثمان: أستغفر الله. أستغفر الله. يبدو أنك قد فهمت كلامي خطأ. لم يكن في يوم من الأيام بأنك حبي الوحيد، وأن سيدي بروميثيوس لم يكن في يوم من الأيام يستحق ظفراً من يد أمك... لذلك أحبتني، ولم يكن بيدي حيلة آنذاك لأنّ أمرنا لم يكن فيه حول أو طول.. وتأكدي أن الموت أخف عليّ من خروجك، لكنه موت مجاني لو أصررت على البقاء. تعذبتُ عندما أفتعتُ شمشون بالتروي ليتيح لنا فرصة الخروج بسلام.

دليلة: لم يبق في يد دليلة حيلة.

عثمان: هذا ما أريده منك؛ أن تثقي بي، وتتركيني أخطط للخروج، سأحاول أن أفرض عليهم شروطاً تحافظ على كرامتك، ثم إنّ المحافظة على حياتك تحتاج إلى حيلة، وشمشون غدار.

(تضرب دليلة الأرض بالمعول غاضبة)

عثمان: وحتى أضمن لك سلامتك، فيجب أن نعقد القران ونتزوج. وكما قلت لك فإنني لن أوافق على أن تتزوجي شمشون؛ لتعرفي أسرار قوته العظيمة، ليتمكن منه فرسان سوروب. لن أوافق حتى لو دفعوا لك ملايين الشواقل، يجب ألا توافق لأنّ في المرة الأولى يعطيك سرّاً كاذباً، فتقولين له ختلنتي وكذبت علي. وفي المرة الثانية يعطيك سرّاً كاذباً فتقولين له ختلنتي وكلمتني بالكذب. وفي المرة الثالثة، يعطيك سرّاً كاذباً، فتقولين له: كيف تدّعي حبي وسرك ليس معي؟ وفي المرة الرابعة تضايقيه، وتمنعينه من الفراش، فيلهب شوقاً

إليك، ويقول لك إن سره في شعره... يحلقه فتیان سوروق،
فيقلعون عينيه، وينزلون به إلى سجن «شطة»، ويوثقونه
بسلاسل النحاس، ويقدمون له الرحي يطحن ذرة حتى
الموت.

دليلة: إنني أعرف سرّ قوته منذ أن جاء للوجود.
عثمان: هيا نخرج لأن الحُرّاس سيأكلوننا أحياء إذا بقينا في هذه الديار.
لم يعد الجدال مجدياً.

(تضرب الأرض بالمعول. تقبّل التراب. يتحول صوت عثمان إلي
صوت غير مسموع. يحمل حفنة من التراب، ويقبلها. وتبقى دليلة
جالسة تضرب صدر الأرض بالمعول.. وفي الكواليس تُسمع أصوات
إطلاق التّار وأصوات النَّاس).

المشهد الثالث:

(أصوات إطلاق نار... وأصوات ناس من وراء الكواليس)
أصوات الناس: يا دليلة دلينا... يا دليلة دلينا... يا دليلة دلينا...
ابن دراية داخلاً: هربْتُ من جبال القوقاز، وما زلت مقيداً، تغشاني
الضواري وتأكل من كبدي. لا أعرف ماذا يحدث لي هذه
الأيام؛ لكنني مسيرٌ لا مخيرٌ، يحلقون شعري فأجري في
الشوارع مذعوراً، سيوفي ضائعة في بئر خربة، وما زالوا
يقولون عني إهاري. بندورا مقيدة إلى الأبد... وأنا مقيد إلى
الأبد...

لم أكن كاهناً ألبس ثوباً بنفسجياً، تتدلى من أهدا به المطرزة
الأجراس وثمار الرمان. لم أكن كاهناً لأتمكن من الدخول إلى
قلوبكم المقدسة، فأرويها بالماء، كي تنضج لبناً وعسلاً، ويُعاد بناء
سدٍّ مأرب، ويجري النيل أو فيض، ويتراقص بردي عشقاً للقاء
دجلة والفرات، ويعود الأردن شادياً بمياهه العذبة يجري إلى غير
البحر الميت... ويلمع الحديد في مياهنا العذبة فترى الشمس
شمسين، والقمر قمرين.

(صوت حرب وصراخ...)

ابن دراية: ادخل يا أبا قيس.

أبو قيس: كيف قبلنا أن نموت في الصهرج ؟!
ابن دراية: ادخل يا أسعد .
أسعد: لن نسافر يا أبا قيس، اتركوا أبا الخيرزان، يسافر وحده.
ابن دراية: ادخلي يا أم سعد.
أم سعد: هنا سأزرع داليتي.
ابن دراية: ادخل أيها المتشائل .
المتشائل: سافر أيها الرجل الفضائي، سأبحث عن ولاء، وألتحق به...
ابن دراية: ادخلي يا دليلة.
دليلة (وهي تحمل المعول): اقتلوا زكريا النتن، وحاربوا من أجل
سوروق.
(يدخل الفتيان بالمعاول الحديدية... وتتداخل الأصوات بين الناس
الموجودين على الخشبة)
أصوات: الله أكبر... سوروق... أوروك
الله أكبر، سوروق، أوروك...
(أصوات حرب في الكواليس)
الجوقة: أناديكم.. أشدُّ على أياديكم
(تتداخل الأصوات بين الصالة والخشبة)

«تم الجزء الثاني»

انتهت كتابتها في
27 أيار 1993 م.

فهرس المحتويات

- 1- الإهداء 5
- 2- الزمكانية وأهم الشخصيات 7
- 3- تنويه 9
- 4- الفصل الأول: الصّداع 11
- المشهد الأول: فوق وتحت.. تحت وفوق 13
- المشهد الثاني: بندورا 27
- المشهد الثالث: أنت أعرف مني بأحوالنا، وهي تحلم بالفحولة 37
- 5- الفصل الثاني: ابن درّاية 45
- المشهد الأول 47
- المشهد الثاني 53
- 6- الفصل الثالث: بين قراقوش وعلي بابا؛ كلام أعدّه ابن درّاية .. 57
- المشهد الأول 59
- المشهد الثاني 61
- المشهد الثالث 63
- المشهد الرابع 65
- المشهد الخامس 67
- المشهد السادس 71
- المشهد السابع 73
- المشهد الثامن 75
- المشهد التاسع 77
- 7- الفصل الرابع: صياغة جديدة للمحمة جلعامش ... 81

83.....	المشهد الأول
89.....	المشهد الثاني
95.....	المشهد الثالث
101.....	المشهد الرابع
105.....	8- الفصل الخامس: شمشون ودليلة
107.....	المشهد الأول
113.....	المشهد الثاني
117.....	المشهد الثالث

صدر عن دار الحوار

- * المباحث النقدية في أمالي المرتضى - د. محمد وليد خالص
- * مقدمة الى العقائد الكونية الإسلامية - سيد حسين نصر
- * سحر الرمز والاسطورة - مجموعة
- * الكتاب الهندي المقدس - شارستري
- * كريشنا - الاسطورة الهندية - لا. م. مونتسيني
- * تقنيات الكتابة - مجموعة
- * الابداع الروائي اليوم - مجموعة
- * فتنة السرد والنقد - نبيل سليمان
- * سيرة القارئ - نبيل سليمان
- * الرواية العربية والحداثة - محمد الباردي
- * التفكيكية - النظرية والتطبيق - كريستوفر نورس
- * نظرية الاستقبال - روبرت سي هوب
- * الاسطورة والمعنى - شتراوس
- * منعطف الخيلة البشرية - صموئيل هنري هوك
- * التخيل الروائي للجسد - نعمة خالد
- * مقدمات في سوسيولوجية الرواية - لوسيان غولدمان
- * صورة التركي في الشعر العربي - نعيم اليافي

